صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
شارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٢١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٧٢ — ٢٦ يناير سنة ١٩٥٣ — السنة الحادية والعشرون

فهرس العدد

مهرجان الحرية

تحتشد مصر اليوم فى عاصمتها القاهرة لتحتفل بذكرى يوم الحرية بعد نصف عام ! ويوم الحرية أو يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ هو يوم مصر الأوحد فى تاريخها العريق فى العبودية ، العميق فى الأوتقراطية ، منذ أن رفع (مينا) إلى العرش ، إلى أن خلع (فاروق) من الملك

كان الشعب المصرى طيلة هذه القرون الاثنين والأربعين التى مرت على وجوده فى هذه الأرض ، أشبه بقطيع من السوائم ، لا إرادة له فى نفسه ، ولا قيادة له من جنسه ؛ وإنما كان يتولى قياده رعاة طغاة ، سموا أنفسهم آلهة أو ملوكا أو ولاة . سخروه ليظلموه ، واستغلوه ليحرموه . ولم تعصمه هداية الدين من عبث خليفة كالحاكم ، ولا مدنية العلم من فجور ملك كفاروق ؛ حتى اجتمع على إذلاله واستغلاله فى عهده الأخير ، مالم يجتمع عليه فى دهره الطويل ، من سلطان العواهر من نساء البلاط ، وطغيان الفجار من رجال الحكم ، وبغى المترفين والمسرفين من الأمراء والإقطاعيين رواد الخنا وعباد المنكر . فضعفت النخوة

فى رءوس الأحرار من قادة الجيش، فهبوا هبوب العاصفة الخيرة المدركة: صواعقها الماحقة للقصور الطافحة بالرذيلة، وللكراسى الناتئة فى الوحل؛ ورياحها الماتية للجذوع التى نخرها السوس، وللفروع التى أذواها الخريف؛ ورعودها القاصفة للآذان التى أصمها الهوى، وللبصائر التى أعماها المال؛ وبروقها الوامضة للقلوب التى أظلمت من اليأس، وللنفوس التى زاغت عن الطريق؛ وأمطارها المحيية للثرى الذى جف فلا ينبت، وللشجر الذى ذوى فلا يثمر

وهكذا عاشت مصر فى خير هذه العاصفة الممرة المصلحة ستة أشهر اندفعت فيها إلى الأمام اندفاع القوة المضغوطة المكظومة: تنفجر انفجار البارود فتمحق، وتنطلق انطلاق السهم فتلحق!

فإذا احتشدت مصر كلها بطبقاتها وطوائفها لهذا المهرجان فإنما تحتشد لتحتفل بتحررها من رق أغرق فى القدم حتى طمس فى نفوسها معانى الحرية والعزة والاستقلال والكرامة!

وشتان بين هذا المهرجان ومهرجانين أقيما من قبل: مهرجان يوم تزوج المخلوع بإرادة شعبه، ومهرجان يوم تزوج بإرادة قلبه. كان هذان المهرجانان من صنع السيادة والقوة، أنفقت فيهما مئات الألوف من أموال الأمة لتغرق القصور الملكية فى القصف واللذة، وتمتلئ الخزائن الملكية بالذهب والماس! وافترصت الحكومة (الملكية) هذه العرضة لتنحنى أمام الطاغوت انحناءة العبودية حتى يمس أنفها الأرض، فحشدت الشعب فى شوارع العاصمة ليهتف وهو جائع، ويرقص وهو عريان؛ وتركته يهيم فى الطرق والميادين هيام القطط الجياع والكلاب الضالة؛ لا يجد فى نفسه فرحة المعرسين ولا متعة المدعوين ولا بهجة العرس!

أما هذا المهرجان فمن صنع الطبيعة والأمة. أقامه الخارجون من ظلام الظلم، والناجون من إسار الرق، كما تقيم الطبيعة مهرجان الربيع لخروجها من ظلام الشتاء ونجاتها من همود الأرض. فكما يورق الشجر ويزهر، وينضر الزهر ويفوح، وتمرح الطير وتهزج، ترى الشعب من ذات نفسه يبتهج ويفرح، ولإطراب نفسه يغنى ويرقص، ولإطراء نفسه ينشد ويهتف!

ذلك لأنه بات ذات ليلة ثم أصبح فإذا هو صاحب العرش وصاحب الجيش وصاحب الحكم وصاحب الثروة! نام وهو لا شئ، ثم استيقظ وهو كل شئ! لقد استطاع فى هذه اللحظة القصيرة من عمره الأطول أن يضع هذا النير الثقيل عن كاهله الواهن بعد أن مكن له الرق المزمن بين اللحم والعظم والعصب!

كان قد ألف نير العبودية كما يألف الثور الذلول نير المحراث فلم يفكر فى الانعتاق منه؛ إلا مرة واحدة حاول أن يفلت فيها من قيده فعجز. كان هذا النير فرعا غليظا من هذه الشجرة الملعونة درعه الإنجليز بالحديد والذهب، فشق على عرابى الثائر الأول أن يحطمه. ثم عظم وضخم بفضل الأفظاظ الغلاظ من أولى الأمر فى عهد الخليع الرقيع، حتى رزحت الكواهل وخرت الأعناق، وحسب الناس حتى المتفائلون أن الليل سرمد، وأن الرق خلود، فقروا على الضيم واستكانوا للهون. وكادت مصر كلها تسقط بسقوط فاروق ومن على دين فاروق لولا أن نبه الله للخطر رهطا اصطفاهم من رجال القيادة، فنفخوا فى الصور فنهض الجيش وانبعثت الموتى. وقاد الشعب محمد نجيب وأصحابه فى معركة التحرير والتطهير، فحرروا الأمة من النير الباهظ، وطهروا الوطن من الفساد الشامل؛ وعمدوا إلى أوكار الأفاعى وأجحار الذئاب فقوضوها على الأذى والجريمة. ثم فتحوا أبواب الرزق المحتكر أو المغتصب فتدفق على أهله المحرومين منه المكدودين فيه. ثم لخصوا دين الله فى ثلاثة أمروا بها، وهى العدل والإحسان والمؤاخاة؛ وثلاثة نهوا عنها، وهى الفحشاء والمنكر والبغى؛ وثلاثة عملوا لها، وهى الاتحاد والنظام والعمل؛ ثم جعلوها كلها مبادئ (لهيئة التحرير) التى أعلنوا ميلادها اليوم فى

الأدب الشعبي

للأستاذ محمود تيمور

بقية ما نشر فى العدد الماضى

إنى على يقين بأن العمل الفنى إذا توافر له جوهر الأدب من إثارة العاطفة ، ومنادمة الوجدن ، ومن تناول العناصر الحية فى المجتمع البشرى ، ومن تصوير النزعات النفسية النابعة من موارد إنسانية أصيلة ، فإن هذا العمل الفنى صالح لأن يكون شعبيا يستمرئه الناس على اختلاف مراتبهم من المعارف والمدارك ؛ وأنهم ليستجيبون له ، ويتأثرون به ، ويجدون له فى أنفسهم بلاغا ليس وراءه بلاغ

أعرف فيما أعرف سيدة تقرأ العربية ، ولكنها غير متضلعة منها ، فأما الشعر العربى فإنها لا عهد لها به ، ولعلها تتجنبه ثقة منها بأنها لا تملك له فهما . وأظهر ما تتميز به هذه السيدة أن عاطفة الأمومة تتوهج بين جنبيها أيما توهج ، فهى بهذه العاطفة تحيا ولها تميل ، ويوما عرضت على إحدى المجلات مشيرة فيها إلى أبيات من الشعر يناجى بها الشاعر طفله ، وما عتمت أن أخذت تقرأ على هذه الأبيات ، جياشة الحماس مستعذبة ما تقرأ ، مسهبة فى شرح ما تجد من جميل المعانى ، تدلنى بذلك على أنها فهمت مرامى الشاعر وأغراضه ، وأن غمت عليها مدلولات الألفاظ على الوجه الدقيق . فهذه السيدة قد تأثرت عاطفتها بتلك الأبيات ، طوعا لما تضم بين جوانحها من مشاعر الأمومة المتوقدة ، فالشاعر قد عالج لها موضوعا ينزل من نفسها فى المكان الأول ، وعبر لها عما تشعر به الأم نحو طفلها تعبيرا فنيا جميلا ، فيه النغمة الموسيقية التى هى أقرب إلى هدهدة الطفل فى مهده الحبيب ، ومن ثم استجابت الأم لهذا اللون من الشعر : لا بما تفهمه وتعقله فى هذا الفن من الأدب ، ولكن بما استشعرته لذلك الموضوع الذى عالجه الشاعر الفنان ، وكان حسبها فى هذه الاستجابة جملة ألفاظ فهمتها من أبياته ، فكانت هذه الألفاظ جسرا يصل بين شعورها و[illegible]ره

وأذكر أنى كنت فى عهد الصبا أحرص على شهود المحافل التى يلقى فيها شاعر النيل «حافظ إبراهيم» قصائده الشعبية فى الشؤون الاجتماعية والسياسية العامة . وكان كعهده يؤثر أناقة اللفظ وجزالة العبارة حتى ليفتقر الناشئ المتأدبون فى فهم كلماته إلى معجم ، وأنا يومئذ قليل الزاد من الفصحى ، ولكنى على الرغم من ذلك ما أكاد استمع إلى «حافظ» ينشد ، حتى أحس معانيه تنساب إلى نفسى انسيابا ، وإذا أنا أداجه وأسايره بعاطفتى وشعورى ؛ ذلك لأن الموضوعات التى يعالجها الشاعر كانت ملء أسماعنا ، والأحداث التى يستوحيها كانت تشغل بالنا ، ولم يكن جمهور «حافظ» من المثقفين خاصة ، وإنما كان خليطا من طبقات الشعب ، يفهمون عنه ، ويتأثرون به ، ويصفقون له فى صدق وإيمان . ولست أنسى حفلا شعبيا شهدته فى «حديقة الأزبكية» لذلك العهد ، فأنشد فيه «حافظ» إحدى روائعه ، وكان بين جمهور السامعين كثير من ذوى الجلاليب ، وهم يطربون للشعر ، ويهتاجون بالإنشاد ، ويتصايحون فى تهلل وإعجاب

وإليك ما عرفت من شأن «طاغور» وجمهوره ، فقد كانت حلقته التى ينشد فيها أشعاره تحفل بالحشد الوافر من جمهور الشعب غير المثقف ، وبينهم الحفاة العراة المهازيل ، وكان أولئك يصغون إلى «طاغور» مرتلا شعره ، وكأنهم

مهرجان الحرية و (ميدان التحرير) !

فمن حق الشعب إذن أن يقيم هذا المهرجان العظيم مزهوا بجهاده ، فخورا بقواده ، معبرا بهتافه المرتفع ، وتصفيقه الدوى ، وحماسه المتقد ، وسروره الدافق ، عن اطمئنانه الواثق إلى حاضره المستقر ، وعن أمله الفسيح فى مستقبله المشرق

أحمد حسن الزيات

فى معبد يشتركون فى صلاة ، وأعينهم تفيض من الدمع تأثرا واستجابة ، وكذلك استطاع هذا الجمهور الساذج أن يستشعر الجمال والروعة فى قصائد بالغة من السمو الفنى والفلسفى أرفع الدرجات ، وإنما تسنى للجمهور أن يساير أدب « طاغور » بثلاث : الأولى أن الشاعر يتناول من الموضوعات ما يشغل بال الناس ، وما يحسونه فى صميم قلوبهم أوفر إحساس ، فهم حين يصغون إلى الشاعر فإنما يصغون إلى زفرات نفوسهم وأصداء عواطفهم صادقة الوحى والإلهام . والثانية أن قصائد «طاغور» أقرب فى أسلوبها وجرسها إلى النغمة الموسيقية منها إلى ألفاظ تتألف من حروف . والثالثة أن « طاغور » كان يلقى شعره فيحسبه السامع مغنيا يترنم . وثمة ناحية رابعة ليس من الخير إغفالها ، تلك هى أن فلسفه « طاغور » التى ينطوى عليها شعره أدنى إلى التصوف والتعبد منها إلى فلسفة المذاهب والآراء ، والإنسان صوفى بالفطرة ، متعبد بالطبع ، ولم تكن هذه المعانى التى يجلوها « طاغور » فى فلسفته الصوفية إلا معانى إنسانية كامنة فى النفس البشرية ، فلا هى بجديدة على الإنسان ولا هى بمستغلقة عليه ، بل هى فى سريرته مستخفية تلتمس من يثيرها من الأعماق

لسائل أن يقول : أفى المستطاع أن يتذوق جمهورنا العربى من فن « طاغور » ما يتذوقه جمهوره ؟

لا سداد فى الإجابة عن هذا السؤال بنفى أو إيجاب ، فإن كثيرا من الألوان الأدبية ، وبخاصة الشعر ، لا يكاد يسوغ إذا نقل إلى لغة غير لغته لأنه يفقد بالترجمة خصائص وقمه الوسيقى وكيانه الفنى ، ولا تبقى منه إلا ظلال وأشباح أو هيا كل معروقة من عظام . ولو كان فى المقدور أن يترجم أدب « طاغور » رنانا بموسيقيته الفنية ، رفافا بصوفيته الإنسانية ، لكان حريا أن يتأثر به الجمهور الكبير حيث يكون

وهذا « شكسبير » الشاعر العبقرى الذى نقرأه اليوم فى إمعان وروية ، محاولين استشفاف الغامض من معانيه ، والدقيق من تأملاته الفكرية وتحليلاته النفسية . لقد كانت مسرحياته تمثل على أعين النظارة من عامة الشعب ، كانوا أمشاجا من الناس يتباينون فى مراتب الثقافة والذوق ، ولكنهم استساغوا من فن «شكسبير» ما يساير عواطفهم وما يلائم مزاجهم ، واستمرأوا ما كان يمازحهم به من مفارقات الحياة وأضاحيك المجتمع ، فى سخرية لاذعة ، ونقد طريف ؛ وما كان يهزهم به من صور المآسى والفواجع ، فى لوعة مريرة ، وتحسر أليم . فالشعب فى ذلك كله مستجيب له أعمق استجابة ، فتارة هو واجد حزين ، وطورا هو مستمتع طروب

على الأديب الفنان الذى يرى أدبه محجوبا عن الجمهور ، فيسىء الظن بهم ، ويسرع إلى وهمه أن الناس لا يستطيعون التلقى عنه ، عليه أن يسأل نفسه : أموصول هو حقا بالشعب يعبر عن خوالجه ، ويصور منازعه ؟ فإن كان كذلك حقا فليسأل نفسه ثانية : هل ابتغى الوسيلة التى يتسنى بها للجمهور الإقبال على أدبه ؟ وإن فى الجواب عن هذا السؤال جانبا خطيراً من سر العلاقة بين الفنان الكاتب والجمهور القارىء

وليس بعازب عنا عقم الوسائل التى تتأدى بها الكتب الأدبية إلى أيدى الشعب ، فإن هذه الكتب لا تكاد تصل إلى الناس إلا بجهد ، فالكاتب والقارىء كلاهما يلقى من ذلك إعناتا ورهقا . وفى مقدورك أن تعزو العزلة التى يعانيها الأدب الفنى إلى أن الجمهور يجهل وجوده ، وأنه لا يجد تنبيها إليه ، وربما وجد سبيله غير ميسور ؛ فللجمهور عذر مبسوط فيما نلاحظ من ضعف إقباله على الأعمال الفنية التى ينهض بها الأدباء

وفى هذا المقام يطيب لى أن أشير إلى أن إحدى الفرق التمثيلية ضاقت بما تجد من تراخى الجمهور عما تقدمه من مسرحيات فنية أصيلة ، وكنت تعلل ذلك بادئا بأن الجمهور

لا يسمو إلى هذا المستوى الرفيع . وأخيراً خطر للقائمين على تلك الفرقة أن يلتمسوا بعض الس... إلى اجتذاب الناس، فخفضوا أسعار الدخول حتى قاربوا بها أسعار الدخول فى الدور السينمائية ، وبسطوا لطلاب المعاهد وأساتذتها شيئا من الامتياز فى الخفض ، فازدحم المسرح برواده ، واحتفظت الفرقة بمستواها ، ولقيت من الإقبال والاستحسان مالم يكن يدور فى الحسبان

ومما لاحظناه منذ عهد قريب أن بعض دور النشر أخذت تقدم طبعات جديدة من المؤلفات الأدبية الرفيعة ، ميسورة الأثمان ، تعرض مع باعة الصحف على أنظار الناس ، فراجت هذه الكتب ، وبيع منها الألوف والجمهور هو الجمهور ، لم يزدد علما ولا ثقافة بين عشية وضحوة ، وإنما الفضل كل الفضل لهذه الوسيلة الجديدة فى نشر الكتب وعرضها على جمهرة القارئين . وليس أدل على نصوع هذه الحقيقة من أن بعض تلك الكتب كان مطبوعا على الطريقة القديمة من قبل ، ولم يكن المطبوع منه يزيد على ألفين أو ثلاثة ، وما تزال منه بقية فى المكتبات لم تبع بعد ، فأما هو فى طبعته الحدثة ، بهذه الطريقة الميسورة ، فإن المطبوع منه يربى على عشرين ألفا ولا يكاد يظهر حتى تنفد نسخه فى أيام معدودات

ومن طريف ما حدثنى به أستاذ فرنسى صديق ، أنه يسكن شقة فى مبنى كبير فى باريس ، وعلى باب المبنى يقوم بواب مشغوف بالقراءة ، فبين يديه دائما كتاب يطالع فيه ، وقد عنى الصديق بأن يتعرف ما يقرؤه ذلك البواب المتأدب ، فإذا هو الأدب السف الرخيص ، فخطر له أن يزاول معه تجربة لا يدرى أتخفق أم تفلح ، فدفع إليه كتابا من الكتب ، وترك له أن يقرأ إذا راقه أن يفعل ، فأخبره البواب بأنه قرأه فى ليلة واحدة ، وأنه أعجب به . ولم يكن الكتاب مغامرة من مغامرات « أرسين لوبين » وإنما كان كتاب « أنا كارنين » لتولستوى . ومنذ ذلك اليوم أخذت المكتبة القصصية الرفيعة التى يقتنيها الأ...اذ الفرنسى تستعار كتابا كتابا لهذا البواب ، فيعب م... أن يعب ، وكذلك أثمرت التجربة وأصبح البواب القار... من عشاق الأدب الرفيع

هذه خواطر فى معنى الأدب الشعبى ، أردت بها توجيه الأنظار إلى تصحيح مدلوله ، والكشف عن حقيقته ، فلقد طالما أسئ فهمه ، وشدما عدل به عن وجهه . ولقد آن لنا أن نرد إليه اعتباره ، ونوفيه حقه ، فإننا نظلم الأدب إذا باعدنا بين الشعب وبينه ، كما نظلم الشعب إذا نقصنا من متعة الأدب حظه . وهل للأدب موضوع إلا الشعب ؟ وهل للشعب مرآة إلا الأدب ؟

محمود تيمور

شعراء الوطنية

للأستاذ عبد الرحمن الرافعي

أصبح للناحية الوطنية فى الشعر العربى الحديث نصيب كبير فى مصر جدير بالتدوين والتقدير . فالشعراء الذين استلهموا وحى الوطنية فى قصائدهم ، واهتزت لها مشاعرهم، واستجابوا إلى نداء الوطن فى دنيا الشعر والفن والخيال ؛ وكانو مرآة صادقة لعصرهم ، ومصدر إلهام وتوجيه لمواطنيهم ، وترجمانا لهم فى آمالهم وآلامهم ، وأحاسيسهم وأهدافهم ؛ هؤلاء خليقون بالتحدث عن شخصياتهم ودراسة أشعارهم الوطنية . كل منهم بمقدار ما أنتج وأثمر وأجاد وأبدع

فمن أين نبدأ هذه الدراسة ؟

يبدو لى أن الروح الوطنية قد بدأت تغذى الشعر المصرى ، وتبعث فيه من حياتها وبهائها ، وتضفى عليه من جمالها وجلالها ، منذ أوائل القرن التاسع عشر . فمن هذا العهد نبدأ بالحديث عن (شعراء الوطنية)

رفاعة رافع الطهطاوى

١٨٠١ — ١٨٧٣

هو أول رائد لنهضة العلم والأدب فى النصف الأول من القرن التاسع عشر . كان شاعراً رقيقا بالقياس إلى عصره . أشربت نفسه الوطنية منذ نعومة أظفاره . تلقاها من إيمانه الصادق (وحب الوطن من الإيمان) ومن فطرته السليمة ، وخلوص نيته . ولما جاء عهد البعثات العلمية إلى الخارج كان من حسن التوفيق أن اختاره محمد على ضمن أعضاء البعثة الأولى التى سافرت إلى فرنسا سنة ١٨٢٦ . فجمع إلى ثقافته الأزهرية ثقافة أوروبا وعلومها وآدابها . فاقتبس منها الشئ الكثير ، وازدهرت روحه الأدبية على ضوء الحضارة الغربية

وقد استثار رحيله عن مصر عاطفته الوطنية العميقة المتأصلة فى نفسه الحساسة . فجادت قريحته وهو فى باريس بقصيدة عبر فيها عن الحنين إلى الوطن وأهله ، والإشادة بمفاخره . قال فى مطلعها :

ناح الحمام على غصون البان فأباح شيمة مغرم ولهان

وانتقل إلى التغنى بمصر وذكر محاسنها وقال :

هذا لعمرى إن فيها سادة قد زينوا بالحسن والإحسان
يا أيها الخافى عليك فخارها فإليك أن الشاهد الحسنان
ولئن حلفت بأن مصر لجنة وقطوفها للفائزين دوان
والنيل كوثرها الشهى شرابه لأبر كل البر فى إيمانى

وله قصائد ومنظومات وطنية قالها فى مناسبات مختلفة

فانظر إلى القصيدة الآتية تجدها تعبر عما يجيش فى نفسه من أكرم العواطف وأنبلها . وقد قدمها هو بقوله « وقلت أيضا وطنية » . فالروح الوطنية تتمشى حتى فى تقديمه لقصائده قال :

يا صاح حب الوطن حلية كل فطن
محبة الأوطان من شعب الإيمان
فى أنفر الأديان آية كل مؤمن
مساقط الرؤوس تلذ للنفوس
تذهب كل بوس عنا وكل حزن
ومصر أبهى مولد لنا وأزهى محتد
ومربع ومعهد للروح أو للدن
شدت بها العزائم نيطت بها التمائم
لطبعنا تلائم فى السر أو فى العلن
مصر لها أياد عليا على البلاد
ونخرها ينادى ماالمجد إلا ديدنى
الكون من مصر اقتبس نورا وما عنه احتبس
فخر قديم مؤثر عن سادة وينشر
زهور مجد تنثر منها العقول تجتنى
دار نعيم زاهيه ومعدن الرفاهيه
آمرة وناهيه قدما لكل المدن
قوة مصر القاهره على سواها ظاهره
وبالمهار زاهره خصت بذكر حسنن

أبناؤهـــا رجال لم يثنهم محـــال
وجنـــدهم صنديد وقلبـــه حـــديد
وخصمـــه طريد بل مدرج فى كفن

وقال يدعو إلى افتداء الوطن بالنفس والمال

وعزيز الوطن نخدمه برضا فى النفس نحكمه
مال المصرى كذا دمه مبذول فى شرف الوطن
تفديه العين بناظرها والنفس بخير ذخائرها
تهدى فى نيل نظائرها بشرا العليا أعلى ثمن

وقال يصف الجيش المصرى ويشيد بمفاخره

ننظم جندنا نظما عجيبـا يعجز الفهما
بأسـد ترعب الخصما فمن يقوى يناضلنـا ؟

رجال ما لها عـــدد كمال نظامها العدد
حلاها الدرع والزرد سنان الرمح عاملنا
وهل لخيولنا شبه كرائم ما بها شبه
إليها الـكل منتبه وهل تخفى أصائلنا

لنا فى الجيش فرسان لهم عند اللقا شان
وفى الهيجاء عنوان تهيم به صواهلنا

فها الميدان و (الشقرا) سقت أذن العدا وقرا
كأنا نرسل الصقرا فمن يبغى يراسلنا

مدافعنا القضا فيها وحكم الحتف فى فيها
وأهونهـا وجافيهـا تجـود به معاملنـا

لنا فى المدن تحصين وتنظيم وتحســـين
وتأييـد وتمـكين منيعـــات معاقلنـا

وهذه الأبيات لمن خير ما قيل فى وصف الجيش المصرى . ولا شك أن رفاعة قد استلهم شعره من مفاخر الجيش فى عهده . فهو يصور العصر الذى عاش فيه تصويرا صحيحا لا مبالغة فيه ولا إغراق . وإن قصيدته لتشبه أن تـكون لوحة فنية يخيل لمن ينظر إليها انه يلمح فيها كتائب الجيش المصرى تسير إلى ميادين الحرب تحف بها أعلام النصر والظفر . تخوض غمار القتال بقلوب ملؤها الشجاعة والإقدام ، وتجابه الأخطار قوية الإيمـان ، ثابتة الجنان ، مجهزة بالسلاح والدافع «تجود به معاملنا» . ولو لم يشهد رفاعة مفاخر الجيش المصرى فى ذلك العصر لما جادت قريحته بهذا الشعر . وهكذا يتأثر الشاعر والأديب بالعصر الذى يعيش فيه ، والبيئة التى تحيط به ، ويصور الحياة على عهده . فـكأنما هو قطعة من عصره ، أو مرآة تنطبع فيها مشاهد الحياة السياسية والاجتماعية ، ومظاهر الحـالة الفـكرية والأخلاقية

وإنك لتلمح أيضا عظمة الجيش المصرى من قول رفاعة فى قصيدة أخرى يخاطب فيها الجنود

يا أيهـــا الجنـــود والقادة الأســـود
إن أمـكم حسـود يعود هامى المـــدمع
فكم لـكم حروب بنصركم تؤوب
لم تثنكم خطوب ولا اقتحام ممعع
وكم شهدتم من وغى وكم هزمتم من بغى
فمن تعدى وطغى على حماكم يصرع

وتتحلى روحه الوطنية المتطلعة إلى الحرية فى تعريبه نشيد الحرية (المارسليز) فإن النفس لا تميل إلا إلى ماهو محبب إليها . فهذا النشيد قد استثار ولا شك إعجاب رفاعة رافع ، حتى مالت نفسه إلى تعريبه ، وإظهار مااحتواه من العواطف الوطنية الفدائية فى حلة عربية قشيبة

وإذا تأملت فى شعر رفاعة رافع الذى نقلنا طرفا منه وجدت فيه تقدما نسبيا إذا قارنته بأسلوب شعراء المدرسة القديمة التى سبقته كالشبراوى والعطار والخشاب وغيرهم . ويعد شعره دور الانتقال إلى دولة الشعر الحديثة التى حمل لواءها البارودى وإسماعيل صبرى وشوقى وحافظ

حقا إننا إذا وضعناه إلى جانب شعر شوقى مثلا لجاء فى المرتبة الثالثة أو الرابعة ؛ ولـكن يجب ألا ننسى أن رفاعة رافع نشأ فى عصر كانت اللغة العربية وآدابها فى دور تأخرها واضمحلالها . فله على نهضة الشعر والأدب فضل لا ينكر

عبد الرحمن الرافعى

أزمة الثقافة !

للأستاذ محمد سعيد العريان

فى مصر أزمة ثقافية شديدة ، يحسها فى هذه الأيام كل قارئ وكل ذى فكر وبيان ...

إن الكتاب الجيد لا يكاد يطبع منه الآن أكثر من بضعة آلاف نسخة ، فى بلد يقولون إن عدد القارئين الكاتبين فيه يزيد على خمسة ملايين ، وإن عدد طلاب العلم فى معاهده يبلغ نحو مليونين ؛ بل إن هذه الآلاف القليلة التى تطبع من الكتاب الجيد لا تكاد تنفد فى أقل من عامين ، وأكثر من نصف الذين يقبلون عليها ليشتروها لا يشترونها ليقرءوها ، بل لأنهم تعودوا أن يشتروا كل كتاب جيد ، أو كل كتاب للمؤلف الذى يفضلونه .

فهل يبلغ عدد قراء الكتاب الجيد فى سنته الأولى على هذا الأساس أكثر من بضع مئات ؟ فلمن يكتب الكاتبون ويتحدث أصحاب الفكر والبيان إذا كان قراؤهم لا يزيدون على بضع مئات فى شعب يزيد تعداده على عشرين مليونا ويصفه من يصف من أهل السياسة بأنه شعب ناهض ؟

الحق أنها أزمة ثقافية شديدة ، تدل على مبلغ القطيعة بين هذا الشعب ومفكريه ، المتفانين فى الحديث عن نهضة هذا الشعب . وإنى لأعلم علم اليقين أن حديثى هذا لن يرضى بعض السياسيين ولا بعض الأدباء ، بل لعله خليق أن يغضب كل السياسيين وكثيرا من الأدباء ؛ ولكنى لا أبالى بمن يغضب ولا من يرضى من هؤلاء وأولئك ؛ إذ كنت لا أقول إلا الحقيقة التى اعتقدتها ويعتقدها فى مصر كل ذى فكر وبيان ...

إننا نعيش فى بلد أمى ، أمية مطلقة تشمل ٩٩٩ من كل ألف ، على رغم الإحصائيات التى تذيعها وزارة معارفنا فى كل عام ...

إن على رأس وزارة المعارف اليوم فى مصر وزيرا له مذهباً فى التعليم يقوم على أساس « الكيف » قبل « الكم » . وما أحلى هذا العنوان لو كان له مدلول يعبر عن شئ من الواقع ؛ ولكن ذلك الواقع يعبر تعبيرا أصدق عن الأمية الحقيقية المطبقة علينا كما وكيفا وموضوعا ؛ فليس فى مصر اليوم خمسة ملايين قارئ كما يقول فى بعض الأحاديث ، ولا خمسة آلاف ، بل قد يكون من الإسراف فى حسن الظن أن نزعم أنهم قد يبلغون خمسمائة ... وقد أوضحت برهان ذلك فى بعض ما سبق !

إن القارئ الكاتب الذى يصح أن يوصف بأنه قد خرج من نطاق الأمية ، ليس هو « المتعلم » الذى اكتسب بالتعليم قدرة على أن يقرأ وأن يكتب ، ولكنه القارئ الحقيقى الذى تعود أن يقرأ منذ اكتسب بالتعليم القدرة على أن يقرأ . إنه القارئ بالفعل لا بالقوة . فأين من متعلمينا أولئك القراء الحقيقيون ؟ وكم يبلغ عددهم ؟ على هذا الأساس ينبغى أن يقوم الإحصاء إن كنا نريد برهانا صحيحا على أننا نعيش فى شعب ناهض ، وهو برهان لم نزل نلتمسه فلا نكاد نصل إليه ، ولا نأمل أن نصل إليه فى وقت قريب ، لا بالكم ولا بالكيف ، ما دمنا لا نلتمس السبيل إليه من بابه ...

هذا ، وقد كان عدد المتعلمين فى مصر منذ ربع قرن لا يتجاوز المليون ، ولكنى أزعم — وتحت يدى من البراهين ما يؤيدنى — أن مصر فى ذلك التاريخ كانت أبعد عن الأمية مما هى اليوم ؛ فقد كان فى مصر من القراء الحقيقيين أكثر ممن فيها الآن وقد بلغ عدد « المتعلمين » خمسة ملايين ... لقد كان فيها قراء من كل الطبقات

يتابعون إنتاج طه حسين ، والعقاد ، وهيكل ، والمازنى ، والرافعى ، وشوقى ، وحافظ ، ومطران ، وغير هؤلاء من ذوى الفكر والبيان ، ويتتبعون ما تخرجه المطبعة العربية من كتب الأدب والفن للمحدثين والقدماء ؛ ثم يتناولون كل ما قرءوا من ذلك بالنقد أو بالحديث فى المجالس الخاصة أو فى المجالس العامة أو فى الصحف والمجلات . وقد يغلون فى ذلك غلوا يقسم القراء إلى معسكرات متقابلة ينتصر كل منها لرأى أو لصاحب رأى ، انتصارا رفيقا يبدو فى أنواع هادئة من الجدل ، أو انتصارا عنيفا يبدو فى بعض المعارك التى كانت تنشب بين تلك المعسكرات فلا تكتفى بالجدل الهادئ دون تناول الموضوع المختلف عليه من حيث صلته بالدين أو بالسياسة أو بالأمور الشخصية ...

كذلك كان الحال وعدد « المتعلمين » فى مصر لا يزيد على المليون ؛ فكم قارئا من الملايين الخمسة « المتعلمين » اليوم يتابع إنتاج أهل الأدب والفكر كتابا كتابا وموضوعا موضوعا ورأيا رأيا على اختلاف حو القول والعمل ، ليعرف أين يمضى بنا أهل الأدب هؤلاء ، أو كيف تتطور بهم الحياة على اختلاف الجواء التى يقولون فيها ويعملون ويعيشون ؟ وكم قارئا منهم يتتبع ما تخرجه المطبعة العربية من كتب القدماء والمحدثين فيتناوله بالنقد أو بالحديث ؟

وكان فى مصر قبل ربع قرن أدباء منقطعون لفنونهم ، منهم صاحب وظيفة لا يوصف بها وإنما يوصف من يوصف منهم بالأدب وحده ، وقد يكون لبعضهم أو لكلهم مرتزق آخر يعيش من فيضه ، ولكنه شأن من شئونه الخاصة لا يتراءى له ظل واضح على ما ينتج من فنونه ولا يدخل فى حكم النقاد حين يتناولون ما ينتج من تلك الفنون ؛ فكان ذلك نوع من الإيمان بالأدب يرتفع به عن مستوى، نراه قد انحدر إليه الآن ويوشك أن يلوث بعض الأدباء بمعض وحل الطريق !

هى إذن أزمة شديدة تتصل بالمنتجين وبالمستهلكين جميعا ، ويوشك أثرها أن يمتد إلى حياتنا العامة ويتغلغل ويؤدى إلى نتائج بعيدة المدى ...

ولا أريد أن أسترسل فى وصف ما ينتظر أن يكون لو مضت بنا هذه الأزمة إلى غايتها ؛ ولكنى أريد أن أتتبع أسباب هذه الأزمة من حيث نشأت ...

وأول ما أعرف من هذه الأسباب أن المدرسة المصرية اليوم لا ترى من واجبها أن تعلم تلاميذها القراءة ، مكتفية بتعليمهم « فك الخط » ، وفرق ما بين فك الخط والقراءة بعيد جدا ، كالفرق بين الأمية والثقافة ، أو كالفرق بين درس فى السباحة يتلقاه التلميذ على معلمه بقراءة كتاب عن السباحة فى حجرة الدراسة أو فى فناء المدرسة ، ودرس آخر يتعلمه بالسبح فى البحر المائج ولو لم يكن معه معلم ولا رائد . وأنا لست أعرف ولا أظن أحدا غيرى يعرف سابحا اكتفى فى تعلم السباحة بقراءة كتاب ثم ألقى بنفسه إلى البحر يتحدى أمواجه !

لقد زعموا فى الفكاهة أن ثريا من أثرياء الحرب قصد إلى طبيب ليصنع له نظارة للقراءة ، فضبط الطبيب مقاييسه وألقى أضواءه واختبر الجفن والحدقة والقاع والعصب ، ثم دفع إلى الرجل النظارة التى طلبها وهو لا يشك أنه سيقرأ بها ؛ فوضعها الرجل على عينيه ثم تناول صحيفة من الصحف وهم أن يفك خطوطها ولكنه لم يستطع أن يقرأ حرفا ، فرد النظارة إلى الطبيب مغضبا لأنها لم « تعلمه » القراءة ولم تنقله من أميته العريقة إلى مستوى القارئين الكاتبين

ما أشبه ذلك الثرى الأمى الذى زعم أن « نظارة القراءة » يمكن أن تنتشله من وهدة الأمية ، بالمدرسة التى تكتفى من تعليم القراءة والكتابة بتعويد تلاميذها أن يرسموا الحروف الهجائية وأن تتحرك ألسنتهم بأصواتها معربين ، ثم تزعم أنها علمت كذا وكذا ألفا فأصبحوا من القارئين الكاتبين ،

إن هؤلاء الآلاف الذين غادروا المدرسة « متممين واجباتهم » ليسوا خيراً من الآلاف الآخرين الذين تخلفوا عن موكب العلم فلم يدخلوا مدرسة ولم يتلقوا العلم على معلم؛ لأن هؤلاء وأولئك أميون بالمعنى العام، لا يمحو وصمة الأمية عن بعضهم أنهم « يستطيعون » أن يقرءوا، ما داموا لا يقرءون بالفعل؛ ولا يستخدمون « نظارة القراءة » التي منحتهم إياها المدرسة في النظر إلى كل صفحة مكتوبة تقع تحت أعينهم!

إن القراءة في المدرسة المصرية ليست إلا « أصواتاً » تتمرن عليها حناجر التلاميذ وأشداقهم وألسنتهم في دروس المطالعة، ثم لا شيء بعد ذلك. والتلميذ الذي يبلغ درجة النجاح في دروس القراءة هو التلميذ الذي يحسن أن « ينطق »، وأن يرتفع صوته في موضع وينخفض في موضع، وأن يضع حركات الإعراب في مواضعها من أواخر الكلمات أو من أواسطها؛ وقد يتناول بعض المعلمين بعد ذلك فيسأل تلميذه تفسير عبارة، أو تلخيص جملة أو نقد كلمة، أو ذكر نظير؛ ولكنه لا يمكن أن يذهب في الجرأة إلى أبعد من ذلك فيدفع إليه كتاباً يقرؤه وحده ليناقشه في موضوعه بعد ذلك. ولو أن معلماً من المعلمين ذهب في الجرأة إلى هذا الحد، لأحيل إلى إحدى لجان التأديب، أو لجان التطهير، متهماً بترويج كتاب غير مقرر للقراءة!

هذه القاعدة التي تأخذ بها وزارة المعارف المصرية معلميها في المدارس. ويأخذ بها المعلمون تلاميذهم، قد أخذ بها التلاميذ أنفسهم، فلم تتهيأ لهم الفرصة ليعرفوا أن « القراءة » شيء غير تلك الأصوات المنغمة التي تتفق مع قواعد النحو، فلم يحاولوا أن يقرءوا، وكان ذلك أول أزمة الثقافة!

وثمة سبب آخر وثيق الصلة بهذا السبب الأول، هو أن المدرسة المصرية — أيضاً — تكاد تغرس في نفوس تلاميذها أن العلم هو ما يتعلمون فيها، وهو كل ما يحتاجون إليه ليكونوا مثقفين، فليس وراء ما تعطيهم من ذلك العلم غاية لمستزيد؛ فالتاريخ كله في كتب التاريخ المقررة، والأدب كله في كتاب النصوص، والشعر خير الشعر هو ما قرءوه في تراجم الشعراء. وقل مثل ذلك في كل فنون المعرفة، حتى ليكادون يحصرون علم الكون كله في كتب الصوت والضوء والكهربا التي يؤدون فيها امتحانهم آخر العام!

وأذكر — على خجل شديد — أن معلماً من معلمي المدارس المصرية، لقيني ذات يوم وأنا أقرأ كتاباً حديثاً في الجغرافيا، فأنكر مني ما رأى، وأبدى دهشته لأنني وقد أتممت تعليمي — فيما يزعم — منذ بضع وعشرين سنة، لم أزل بحاجة إلى قراءة كتاب جديد في الجغرافيا ...

ومما أعان على إنشاء هذه العقيدة في نفوس بعض المتعلمين من شبابنا، فكرة « الكتاب المقرر » التي لم تزل المدرسة المصرية تأخذ بها؛ فللطبيعة كتاب مقرر، وللكيمياء كتاب مقرر، فليس يسوغ للمعلم ولا يتأتى للتلميذ أن يستعين في مادة من مواد العلم بغير الكتاب المقرر لها، إلا على حذر ورقبة، خشية الاتهام بالخروج على الطاعة أو الاتهام بقصد الاستغلال؛ فنشأ من ذلك الاعتقاد أو شبه الاعتقاد بأن العلم كله في تلك الكتب، وليس في غيرها من الكتب إلا فصول من العلم ليس فيها كبير غناء!

وهناك سبب ثالث يتصل أوثق اتصال بالسببين السابقين، هو اعتقاد أو شبه اعتقاد في نفوس المعلمين بأن مهمة المدرسة هي التعليم، أي إعطاء العلم؛ وهذا خطأ كبير، يجب أن يزول من نفوس المعلمين ليزول بعد ذلك من نفوس تلاميذهم؛ فإن زمن المدرسة محدود، ضيق أشد الضيق: ساعات في اليوم، وأيام في الأسبوع، وأشهر في السنة، وسنون قليلة من عمر الشباب؛ والعلم شيء

كبير، واسع كل السعة، ليس له حدود ولا قيود، وهو لم يزل يزيد كل يوم ويتجدد، فينسخ الجديد القديم، ويصير علم الأمس جهلا وغفلا وسذاجة؛ فكيف تتسع المدرسة فى نطاقها المحدود ووقتها الضيق لاستيعاب ذلك العلم الواسع المتجدد؟

ولو أن معلمى المدرسة وتلاميذها قد آمنوا كما نؤمن بأن مهمة المدرسة ليست هى إعطاء العلم بل تمهيد الطريق إليه، لحملهم الإيمان بهذه الحقيقة على الاستمرار فى طلب العلم بالقراءة المتصلة بعد الخروج من المدرسة، وعلى متابعة الجديد فى الأدب والعلم والفن بالاطلاع الدائب ...

فالمدرسة المصرية إذن هى السبب الأول لهذه الأزمة الشديدة التى نحس آثارها فى أنفسنا وفيما حولنا، ولكنها ليست هى كل السبب؛ فهناك أسباب أخرى مساعدة كان لها أثر كبير فى إحداث هذه الأزمة، ولعلنا نعرض لها فى حديث تال ...

محمد سعيد العريان

الفن المهـــدد!

للأستاذ محمد عبد الله السمان

منذ بضعة عشر أسبوعا، وفلم «كوفاديس» يعرض بسينما «مترو» بالقاهرة، بعد أن تقدمته الدعاية الواسعة العريضة .. الدعاية التى لم يسبق لها مثيل من قبل لأى فلم من الأفلام السينمائية، فقد حجزت إحدى الجرائد المصرية ذات يوم لهذا الفلم أربع صفحات، خصصتها للدعاية له، ولها عذرها، فالجرائد والصحف فى مصر — إن لم تكن جميعها — فمعظمها لا ينظر إلا من الزاوية المادية التى يعيش لها ومن أجلها ..

وانجذابا إلى هذه الدعاية الواسعة العريضة «لكوفاديس» تكبدت مشقة الوقوف أمام سينما «مترو» ساعة كاملة للحصول على تذكرة الدخول، وأردفتها بثلاث ساعات أخرى مع فلم «كوفاديس» الذائع الصيت .. ولم أكد أنتهى من مشاهدته حتى آمنت بأن نفوذ أمريكا، بلغ حداً لا يطاق فى الشرق الأوسط والأقصى والأدنى، بالدرجة التى تجيز لها أن تلعب بمقومات الشعوب، وفى مقدمتها عقائدها

شاهدت فلم كوفاديس انجذابا إلى دعايته العريضة الواسعة، فإذا هو دعاية سافرة من أوله إلى آخره على الطريقة الأمريكية، ومن شأن هذه الدعاية السافرة أن تشوش على العقول، وبيلبل الأفكار. والنظارة من المسلمين يخرجون من السينما بعد مشاهدة «كوفاديس» وقد سحرهم الذوق الفنى، والإخراج القوى، والحوار المبدع، دون أن يثيروا — حتى فيما بينهم وبين دخائل نفوسهم — عبارة واحدة من عبارات هذه الدعاية.

أما الرأى العام الإسلامى فى مصر فلا يكترث كثيرا لهذه الأفلام التبشيرية الأمريكية، إذ أنها صيحات فى واد، ونفخ فى رماد، وستظل أسابيع أو شهورا أو أعواما، وإن شاءت قرونا، فلن تنال من عقيدة المسلمين شيئا.

إن التبشير الأمريكى وباسم العلم والمروءة والإنسانية، لم يكتف باستغلال الطبقات التى تلجأ إلى معاهده ومدارسه وجامعاته ومصحاته، ولكنه أصر على أن يشترى ضمــــائر صنف من المثقفين المسلمين الذين حقنوا بالتربية الغربية ردحا من الزمن، ليأخذوا على عاتقهم — فى مقالاتهم ومحاضراتهم وندواتهم — تشكيك المسلمين فى المعانى الإسلامية الحية، والتنديد بالمقدسات الدينية، ورمى الإسلام بالتزمت والجمود والرجعية، وما إلى ذلك من الألفاظ المصطلح بينهم عليها

ومع هذا كله فالرأى العام الإسلامى لا يتحرك

ولا يتكلم، معتمدا على قوة العقيدة الإسلامية، ولكن صحته سوف ينفد حين يدرك أن المعانى الإسلامية مضيق عليها، وأن الإسلام الصحيح مراقب مراقبة دقيقة، لا يصل معها حتى إلى المسلمين أنفسهم.. وأن الفن الرفيع محرم عليه أن يتناول المعانى الإسلامية قلت أم كثرت!

هذا ما حدث فى فلم «ليلة القدر» للأستاذ حسين صدقى المثل المعروف. ولعل الرأى العام الإسلامى لا يدرى من أمره إلى اليوم شيئا، أو لعله يدرى ولكنه لا يقوى إلا على همسات بشأنه لا تتجاوز الشفاه، وآهات لا تتجاوز الحناجر، والأستاذ حسين صدقى صاحب رسالة فنية، لا يتخذ من الفن مهنة ينتزع بها القروش من الشعب المرهق المكدود، ولا يجعل من الفن مسلاة لعشاق الفوضى والمجون والتهريج، بل إنه ينتهج نهجا عاليا، يهدف من ورائه إلى رفعة الوطن وسمو المجتمع. وهو فوق هذا متدين محافظ، ويؤدى رسالته بقلبه وروحه، كالمصلح الذى يبغى الإصلاح عن عقيدة راسخة وإيمان عميق، ولا عيب فيه إلا مشاركة الشعب آلامه فيما ينتج من فن، ومشاركة المسلمين عواطفهم فيما يخرج للناس من أفلام، شاذا فى هذه وتلك عن الكثيرين من الفنانين المرتزقة الذين لا هدف لهم فى حياتهم الفنية سوى التهريج الرخيص وكفى..

قدر لى أن أشهد عرض فيلم «ليلة القدر» قبل أن يزج به فى زوايا الظلام، فوجدت الأستاذ حسين صدقى ينحو فيه ناحية إسلامية لم تطرق قبله فى عالم الفن. لقد أحس فى قرارة نفسه أن هناك سحابا يحجب أعين المسلمين عن الإسلام المصفى، وأن هناك أباطيل ألصقت بالإسلام زورا وبهتانا، يعتقدها الأجانب من غير المسلمين عقيدة راسخة فى أعماق قلوبهم، فراح يعالج هذه وتلك فى فيلم أسماه «ليلة القدر» فجاء خيرا من ألف فيلم..

لقد صودر هذا الفيلم، كما صودر أخ له «يسقط الاستعمار» فى العهد البائد المنقرض. ولم تكد تبزغ شمس هذا العهد الجديد، حتى قدر لها أن يرى النور، ولكن طائفة من الناس تقدمت إلى المسؤولين تشكو فلم «ليلة القدر». والعجيب أن الفلم ليس فيه تبشير، ولو كان لما كان هناك ضير، مادام هذا التبشير لا يمس حرية العقائد فى غير المسلمين. وما جاء فى الفلم يعتبر تحليلا لبعض المعانى الإسلامية، وعلاجا للمشكلات الاجتماعية على ضوء الإسلام، ومكافحة لبعض الجهالات التى لا زالت عالقة بأذهان الكثير من المسلمين!

وأعجب من هذا أن ذوى الأقلام الضخمة الذين استولوا على الصحف الكبرى بوضع اليد، هؤلاء الذين يدعون أن أمل الوطن معقود بأسنة أقلامهم، وأن بناء النهضة الجديدة لن يشاد إلا على نفثات من صرير أقلامهم، لم يكتبوا حرفا واحدا عن مأساة فيلم ليلة القدر

محمد عبد الله السمان

محمود سامي البارودى

للأستاذ محمود أبو رية

لا نكاد نجد فى تاريخنا الحديث عظيماً أصابه من الظلم وناله من العقوق مثل محمود سامى البارودى رحمه الله. فعلى أنه سياسى كبير ، وجنـدى عظيم ، وإنه فوق ذلك شيخ شعراء هذا العصر بلا منازع ، فان أمتـه قد ألقت به فى زوايا النسيان وتركته على درجة الإهمال ، حتى لا تجد أحداً يعنى به ، أو يهتم بأمره ، أو يعمل على نشر آثاره ، لا من رجال السياسة ، ولا من رجال الأدب . اللهم إلا فذلكات صغيرة لا تجزئ ولا تبين !

ولقد كنا نظن أن مرد ذلك كله إلى طغيان الاحتلال الذى جثم على صدر البلاد سبعين سنـة كاملة لأنه كان من كبار زعماء الثورة العرابية الذين كان الناس يخشون ذكرهم ويخافون أن يدرسوا تاريخهم أو يشيدوا بعظمتهم ؛ وإنه عندما يندك صرح هذا الطغيان وتنكس أعلامه يأتى لنا أن نرفع عنه تراب الإهمال ، ونضعـه فى مكانه (السامى) بين عظماء الرجال . ولـكن وا أسفا ! فانا ما زلنا مفرطين فى جنبه ، جاحدين لفضله

وإنا بكلمتنا هذه التى نرسلها اليوم لا نريد أن نـكشف فيها عن جوانب هذا الرجل السياسـة أو الحربية لأن هـذا مما يجب على غيرنا أن يؤديه له . وكذلك لا نحاول أن ندرس نواحيـه الأدبيـة فانها تحتاج إلى كتاب برأسه ، وهذه الدراسة ولا ريب دين كبير فى عنق كل من يتصدى لدرس حياة الأدب العربى فى عصرنا الحديث . وإنما همنا مما نـكتب أن نأتى بذرو من تاريخه الأدبى نستطرد منـه إلى ما نحن بسبيله من المطالبة بطبع كل ما ترك لنا من آثار أدبية جليلة يقضى الواجب أن نحرص عليها ، ونعمل على نشرها ، ليتنفع الأدب وأهله بها . ونحن إذا بلغنا هـذه الغاية نـكون قد أحسنا إليـه غاية الإحسان ، وحفظنا ذكره عطراً على وجه الزمان . وما حياة العظيم إلا حياة آثاره وما ينتفع الناس من علمه وأعماله ، وما عدا ذلك فهو لغو باطل ، وعبث ليس وراءه طائل (فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض »

لقد نشأ هـذا الرجل فى الأدب نشأة عجيبـة لا تكاد تتفق لغيره من الأدباء والشعراء إلا فى الفلتة والندرة !

ذلك أنه — على ما ذكر صديقه الشيخ حسين المرصفى أستاذ الأدب العربى بدار العلوم (كان) فى كتابه الجامع (الوسيلة الأدبيـة) [1] « لم يقرأ كتاباً فى فن من فنون العربيـة — غير أنه لمـا بلغ سن التعقل وجد من طبعـه ميلا إلى قراءة الشعر وعمله فكان يستمع بعض من له دراية وهو يقرأ بعض الدواوين أو يقرأ بحضرته حتى تصور فى برهة يسيرة هيئات التراكيب العربيـة ومواقع المرفوعات منها والمنصوبات والمخفوضات حسب ما تقتضيـه المعانى والتعلقات المختلفة فصار يقرأ ولا يكاد يلحن . وسمعته مرة يسكن ياء المنقوص والفعل المعتل بها المنصوبين ، فقلت له فى ذلك ، فقال : هو كذا فى قول فلان ، وأنشد شعراً لبعض العرب . فقلت تلك ضرورة ، وقال علماء العربيـة إنها غير شاذة : ثم استقل بقراءة دواوين مشاهير الشعراء من العرب وغيرهم حتى حفظ الـكثير منها دون كلفـة ، واستثبت جميع معانيها ناقداً شريفها من خسيسها ، واقفا على صوابها وخطئها مدركا ما كان ينبغى وفق مقام الكلام وما لا ينبغى ، ثم جاء من صنعـة الشعر اللائق بالأمراء ، ولشعر الأمراء كأبى فراس والشريف الرضى والطغرائى تميز عن شعر الشعراء . — هذا هو الأمير الجليل ذو الشرف

(١) ص ٤٧٤ ج ٢

الأصيل والطبع البالغ نقاؤه ، والذهن المتناهى ذكاؤه ، محمود سامى باشا البارودى »

هذه هى طريقة البارودى فى دراسته للأدب العربى ، وكذلك كانت سبيله فى دراسة الأدبين التركى والفارسى ، فهو لم يختلف فيهما جميعا إلى معاهد العلم ، ولم يجلس إلى الأساتذة والمؤدبين فى أماكن الدرس ، ولا كان يتكئ فى حياته على ما يتكئ عليه النزءوون فى بلادنا من الشهادات والإجازات العلمية

ولم يكن أمره كذلك إلا لأنه قد أوتى « من صفاء الفطرة ونقاء الذهن وكمال الاستعداد » مالم يؤت غيره فى عصره . وبهذه العبقرية الفذة استطاع أن يسمو بشاعريته إلى مرتقى استوى فيه على عرش الشعر العربى فى العصر الحديث ، وأصبح — بلا مراء — نابغة العصر ، وإمام الشعر فى مصر وغير مصر ، وإليه يرجع الفضل فى بعث دولة الشعر بعد أن ظلت قرابة ألف عام فى جدثها ، وعلى طريقه سار كبار شعرائنا أمثال صبرى وشوقى وحافظ . ولقد بلغ من نبوغه فى الشعر أن زاحم بمنكبه من سبقوه من فحول الشعراء ، جاهليين ومخضرمين ومولدين ؛ فعارضهم فى كل باب بقصائد عصماء، أربى عليهم فى أكثرها

وكان ظهور هذا الشاعر الخنذيذ فى عصر لم يكن يهيئ لظهور شاعر عظيم مثله ، وخرج من بيئة لا تنبت مثل زرعه ، ونشأ بين فئة من الشعراء أمثال الليثى والنجارى والنديم والإبيارى ، أولئك الذين كان جل همهم ، وأسمى ما يعصر من قرائحهم أن يأتوا ببيت فيه نكتة بديعية ! ولا تتعدى أغراضهم المدح والاستجداء ، بشعر ليس فيه جديد وليس فيه رواء

وقضى البارودى ما قضى من حياته بين وطنه ومنفاه الذى لبث فيه أكثر من سبعة عشر عاما إلى أن انتقل إلى جوار ربه فى يوم الاثنين ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠٤ كما حققناه بمجلة الرسالة الغراء [٢] لا كما ذكره الدكتور هيكل فى تقدمه لديوان البارودى من أنه مات فى الأيام الأخيرة من ديسمبر سنة ١٩٠٤ !

وقد خلف لنا ثروة خالدة فى الأدب بعضها من شعره وبعضها مما اختار فى الشعر والنثر وغادرها إلى رحمة ربه ، مخطوطة لم يطبع منها شئ فى حياته

وفى سنة ١٩١٠ ظفر أهل الأدب (بمختارات البارودى) فى أربعة أجزاء كبيرة من الغرار الكامل تشمل ما اختاره من شعر ثلاثين فحلا من الشعراء المولدين ، ثم ظلوا يرتقبون ظهور ديوانه ، ومختاراته فى النثر التى سماها (قيد الأوابد) وطال ارتقابهم حتى خرج إليهم فى أواخر سنة ١٩١٦ جزآن من ديوانه لم يكادوا يطلعون عليهما حتى ضاقت صدورهم بما حملا من شرح ممل ثقيل حشد فيه شارحه الشيخ محمود المنصورى أحد علماء الأزهر من اصطلاحات أهل المنطق وقواعد علم الكلام والأصول ما نفرهم منه وزهدهم فيه . وقد عد بعضهم هذا الشرح من المحن التى ألحت على البارودى طوال حياته من فقد أبيه فى طفولته وموت زوجه وأولاده ونفيه عن أوطانه ثم فقد بصره فى آخر حياته . ولم يكن نفور الأدباء إلا لأن الشعر لا يحتمل منطقا ولا فلسفة . وكان مما تمنوه يومئذ أن لو خرج هذا الديوان عاريا من كل شرح حتى لا يغشى نوره مثل هذا السحاب الثقال — وظلت هذه الأمنية تمتلج فى صدورهم حوالى ربع قرن إلى أن حملت إليهم جريدة الاهرام [٣] بشرى خفقت لها قلوبهم إذ روت أن ديوان البارودى قد فرغ من تصحيحه ودفع به إلى مطبعة دار الكتب لتتولى طبعه على نفقة وزارة المعارف وأنه سيخرج فى ثلاثة أجزاء

وفى سنة ١٩٤٠ ظهر الجزء الأول من طبعته الجديدة بشرح لا بأس به وتلاه الجزء الثانى فى سنة ١٩٤٢ يحمل

(٢) العدد ٨٩٧ الصادر فى ١١ — ٩ — ١٩٥٠

(٣) العدد الصادر فى ١٣ ــ ٣ ــ ١٩٣٩

من قصائد الديوان إلى حرف (الكاف) ويدعونا الإنصاف إلى أن نذكر أن الفضل فى ظهور هذين الجزءين إنما يرجع إلى النقراشى رحمه الله وكان وزيراً للمعارف يومئذ ثم انتظرنا ظهور الجزء الثالث ثمانية أعوام كاملة . ولما لم يظهر فيها استصرخنا وزارة المعارف على صفحات جريدة الاهرام [٤] لكى تعمل على إخراج الجزء الباقى من هذا الديوان ثم تردفه بكتاب (قيد الأوابد) وكان أملنا كبيراً فى تحقيق رغبتنا التى هى رغبة الأدب والأدباء إذ كان يتولى وزارة المعارف حينئذ الدكتور طه حسين عميد الأدب ، وخير من يعمل على نشر تراث لغة العرب ؛ ولكن يؤسفنا أن نقول إن صرختنا هذه قد ذهبت أدراج الرياح وبقى الديوان إلى اليوم ناقصاً لا يعرف الناس عنه ولا عن كتاب (قيد الأوابد) شيئا

ومن أجل ذلك رأيت أن أنتهز فرصة الذكرى الثامنة والأربعين لوفاة شاعرنا الكبير — وانقضاء عشرة أعوام كاملة على ظهور الجزء الثانى كانت كافية لأن يعاد طبع الديوان كله فيها طبعة ثانية — فأرسل صيحة أخرى على صفحات مجلة الرسالة الغراء ونرجو أن تبلغ مسامع وزارة المعارف فتصغى اليها وتحقق ما فيها ، ولا تذهب هباء كما ذهبت التى سبقتها . ونأمل كذلك من حضرة مدير دار الكتب وهو أديب كبير أن يستمع اليها ويعنى بها حتى يرى أهل الأدب بين أيديهم فى القريب العاجل ديوان البارودى كاملا، وكتاب (قيد الأوابد) بالطبع ماثلا

المنصورة

محمود أبو ريه

(٤) العدد الصادر فى ٢٦ – ٣ – ١٩٥٠

ذكرى إحراق القاهرة

فى مثل هذا اليوم أرعدت المدافع فى القنال ودمرت فى القاهره
فى مثل هذا اليوم أشعلت الخيانة نارها فى قلب مصر الثائره
فى مثل هذا اليوم أحرق منزلى وغدوت بين حرائق متناثره
فى مثل هذا اليوم كانت ثورة الشعب الأبى على الذئاب الغادره

أنا لست أنسى ليلة مجنونة
هوجاء ترقص فى اللهيب الأحمر
وأنا أحلق فى الفضاء محطما
حيران أرنو فى أسى وتحسر
والأفق عربيد اللظى ونجومه
سكرت بأنفاس الدخان الأغبر
والجو مختنق الرؤى ونسيمه
يسرى يخطو واجف متعثر

والنار تحكى للسماء ملاحما
لبطولة الشعب الذى لم يقهر
والريح تصرخ فى الظلام كأنما
ضاقت بلؤم الغاشم المتجبر
نيرون مصر أحالها حمما وأشعلها ليرقص فى اللظى المتسعر
نيرون أوقف ثورة دموية
هبت أعاصيرا على المستعمر

سعد دعبس

حياة المازنى

المازنى والصحافة

« لست صحفياً بالمعنى الصحيح ، وإنما أنا رجل كاتب » المازنى

للأستاذ محمد محمود حمدان

— ٥ —

صلة المازنى بالصحافة صلة قديمة ترجع إلى ما قبل اشتغاله بها . فقد كان منذ سنة ١٩٠٧ يكتب فى الصحف التى تخصص جزءاً من صفحاتها للموضوعات الأدبية كالجريدة والمؤيد والدستور . وهذه الأخيرة هى الصحيفة التى كان يصدرها فى ذلك الحين الأستاذ محمد فريد وجدى ويشترك فى تحريرها الأستاذ العقاد . وعلى صفحات الدستور وعن طريقه تعارف المازنى والعقاد فتلازما من بعد واقترن اسماهما وتوطدت بينهما صداقة سوف يعتز بها التاريخ الأدبى ما ذكرت صداقات الأدباء.

وفى سنة ١٩١١ أصدر الأستاذ الشيخ عبد الرحمن البرقوقى مجلة « البيان » فتعهدها نخبة من الأدباء الناشئين فى ذلك الجيل أمثال السباعى والمازنى والعقاد وشكرى . ونشر بها المازنى فصولا فى الأدب والنقد ضمنها بعد ذلك أول كتاب صدر له وهو كتاب « الشعر ، غاياته ووسائطه » (١٩١٥) ، كما بدأ بها ترجمة كتاب التربية الطبيعية أو إميل للفيلسوف الفرنسى جان جاك روسو . وتوقفت البيان عن الصدور فتحولت تلك المدرسة الأدبية إلى صحيفة « الفور » التى كان يصدرها الأستاذ عبد الحميد حمدى على عهد الحرب الكبرى .

أما بدء اشتغال المازنى بالصحافة بعد اعتزاله التدريس فقد كان حين دعاه الأستاذ عبد القادر حمزة ، عقب الثورة ، لمعاونته فى تحرير صحيفة « الأهالى » وكانت تصدر بالإسكندرية ، وكان المازنى مريضاً متلف الأعصاب من أثر التجربة النفسية التى امتحن بها فى ذلك الصدر من حياته والتى أشرنا إليها فى الفصل السابق ، فاشترط أن تكون مشاركته إلى حين

وفى تلك المرحلة الباكرة من مراحل الحياة السياسية فى مصر ، كانت الصحف أكثر اهتماماً وعناية بالآراء والأفكار منها بالحوادث والأخبار ، فكان طابعها الأغلب وأكبر اعتمادها على المقالة . وكان ذلك أقرب إلى طبيعة الكاتب فى المازنى ، فلا جرم استطاع أن يلبى حاجتها ويساير اتجاهها ، متمشياً مع طبيعته محتفظاً بخصائصه ، غير متكلف ما يعدل به عن مذهب الحرية والاختيار

وكان المازنى ممن شاركوا فى هذا المجال وبرزوا فيه . ولفت ذلك نظر الأستاذ أمين الرافعى إليه ، فدعاه إلى مشاركته فى تحرير صحيفة « الأخبار » وهى إذ ذاك من كبريات الصحف الوطنية وأعلاها صوتاً ، فعمل بها المازنى سنوات ، وفيها توطدت شهرته الصحفية ، حتى ليمكن أن تعد تلك الفترة بداية التاريخ الصحفى فى حياة المازنى الكاتب الأديب . وفى الأخبار كان المازنى ينشر إلى جانب مقالاته السياسية اليومية فصولا أسبوعية فى الأدب والنقد ، ومنها الفصول التى جمعها بعد ذلك فى كتابيه حصاد الهشيم وقبض الريح . وظلت هذه عادته فى أغلب الصحف التى عمل بها

وعمل المازنى بعد ذلك فى صحف شتى لا يعنينا هنا أن نحصيها فى جملتها . واضطلع فترة برياسة التحرير فى صحيفة « السياسة » تعرض أثناءها لما يتعرض له رؤساء التحرير المسئولون ، فقد قدم إلى المحاكمة واستدعى للتحقيق معه غير مرة . وفى فترة تعطيل السياسة على عهد الوزارة الصدقية الأولى أصدر المازنى بالاشتراك مع الأستاذين الدكتور محمد حسين هيكل ومحمد عبد الله عنان كتاب « السياسة المصرية والانقلاب الدستورى » فى نقد سياسة ذلك العهد

وقد حفلت حيـاة المازنى الصحفية فى شتى مراحلها بالتجارب والأحداث ، وكانت بعض هذه التجارب خليقة أن تعـدل به عن وجهته وتحمله على الفـرار بنفسه من الصحافة ، ولـكنه ظل صامداً إلى النهاية كما تعود أن يصمد فى كل ميدان ، وتغلب على متاعب المهنة كما تغلب على متاعب الحيـاة . ويروى المازنى أنه كاد يتعرض يوماً للنفى بسبب مقال . وخلاصة الحادث أنه فى بعض الأعوام كتب سلسلة مقـالات عنيفة فى الأخبار ، يهاجم فيهـا الوزارة القائمة آنذاك . وكان من المارضين لها . وحدث أن وقعت جريمة وحشية اعتبر الـكتاب المارضون مسئولين أدبيا عنها . وعلم بذلك الأستاذ أمين الرافعى فدعا إليه المازنى وأخبره أن الوزارة قرر نفيه ، وأن الأوفق أن يسافر إلى سويسرا حيث يراسل الأخبار من هناك . ويقول المازنى : «أعددت حقائبى وأخبرت أمى وطمأنتها ، وبت مؤرقاً طول الليل أنتظر أمر النفى وتنفيـذه ، وإذا بالوزارة تستقيل فى فحمة الليل .. فنجونا ولما نكد ! »

* * *

ومن طرائف المازنى فى الصحافة أنه اتفق يوما مع صديق له من كبار رجال وزارة المارف على أن يبعث إليه بمقالات فى نقـد أعمال هذه الوزارة ، وكان المازنى يعارض الحـكم القائم ، فكان هذا الصديق يرسل المقال إلى المازنى فيحمله إلى بيته وينسخه بيده ويحرق الأصل إتقاء لعواقب التفتيش . ويقول المازنى وهو يروى هذه الحادثة « قامت القيامة فى وزارة المارف ، وانطلق بعض رجالها يسألون ويستخبرون ليهتدوا إلى كاتب هذه المقالات المزعجة ، واستدرج بعضهم بعض العمال البسطاء ، فعلموا أن المقـالات بخطى ، فلم يستغرب أحد أن أكون أنا الـكاتب . وكنت فى ذلك الحين أسكن حى الإمام الشافعى ، ولى فيه أقارب وأصهار كثيرون ، ومن بينهم شيخ الإمامين الأسبق المرحوم السيد أحمد محسن ، فاتفق ذات ليلة أن كنت عائدا إلى بيتى ، فإذا كل من يلقانى فى طريقى يقول إن الشيخ يسأل عنك . فذهبت إلى بيته فلم أجده . وفى الصباح جاءنى الخادم يقول إن الشيخ ينتظرنى لأنزل معه فى مركبته ، فعرجت عليه وركبنا معا . وسـألته عن الخبر ، وكنا فى رمضان ، فقال : ياشـيخ ، حرام عليك ! الرجل زارنى أمس بعد الإفطار بربع ساعة ، فهو إما غـير صائم ، أو هو لم يهنأ بطعام ، وكل هذا من تحت رأسك ! فاستزدته من البيان فقال : إن الوزير يعرف أنك كاتب هذه المقـالات التى أقضت مضجعه ، وهو مستعد أن يستصدر قرارا فى الحال من مجلس الوزراء بإعادتك إلى الخدمة ، وفى مثل الدرجة التى فيها أحسن زملائك حالا ، وأن يحسب لك فى معاشك المدة التى قضيتها خارج الحـكومة . فضحكت وقلت: هبنى كاتب هذه المقالات ، فهل تكون الرشوة على هذه الصورة علنا ، وعلى مرأى ومسمع من الخلق جميعا ؟ فقال لاتكن مغفلا ! ما خير هذه الصحافة ؟ إن أسرتك كبيرة ونفقاتك كثيرة ولا اطمئنان على الرزق فى الصحافة ، فعد إلى عملك واستقر واحمد ربنا على الفرصة التى أتيحت لك . فقلت له : يا سـيدى الشيخ ، إن لـكل ذمة ثمنها ، ولا أحسبنى فوق الرشوة إذا بلغت حد الإغراء ، ولـكنه ما من ذمة خربة تقبل الرشوة علنا ونهارا وجهارا على هذا النحو . ماذا يقول الناس ؟ فى المساء يقرأون الأخبار فإذا فيهـا مقال فى نقـد الوزارة ، ثم يصبحون فإذا أنا موظف كبير فى وزارة المارف ! »

* * *

ثم كان المازنى فى سنواته الأخيرة يعمل فى أكثر من صحيفـة ، ويكتب إلى جانب ذلك للصحف التى تقترح عليه موضوعات الـكتابة ولا تقيده بالناحية السياسية وحدها . وقد عد البعض من مآخذه أنه جمع بين صحف تتعارض فى السياسة والمبـدأ . أما هو فـا كانت رسالة الصحافة لتختلف عنده بين صحيفة وأخرى ، وما كانت تعنيـه

الحزبية على الإطلاق . وقد ظل طيلة اشتغاله بالصحافة مستقلا برأيه ، بل كان المازنى ربما كتب معارضا لرأى الحزب الذى يعمل فى صحيفته . فهو يؤيد ما يعتقده صوابا ويعارض ما يراه مخالفا للصواب . وكان حكمه على الأعمال لا على الأشخاص . فلم يمنعه تقديره لزعيم كسعد زغلول من معارضة سياسته ، ولم تحل معارضته المنيفة لسياسة صدقى دون الاعتراف بكفايته وعبقريته . وفى حياة المازنى الصحفية ، وهى طويلة ، لم تجتذبه المساجلات والمعارك التى كثيرا ماتثور بين الصحف ، وقلما عنى بالخوض فيها . ولا مراء فى أن المازنى كان ، فى بعض العهود ، معارضا شديد المعارضة ، ولكنه لم يكن يخرج فى معارضته عن حد النقد النزيه والإرشاد والتوجيه

وعلى الرغم من الصلة القوية بين الصحافة والسياسة ، كانت الكتابة الصحفية وحدها حد المازنى من المعترك السياسى ، فقد نأى بنفسه عنه ، وكان مستعدا حتى لترك الصحافة لو أنها كلفته النزول إليه

ولقد فوتح فى أمر ترشيحه للنيابة فرفض الفكرة ولم يأسف على رفضها ، بل لقد رفض أن يتقدم لانتخابات الرياسة فى نقابة الصحفيين برغم إلحاح زملائه عليه . وقد اختير فى بعض السنين وكيلا لها وما أحسبه رضى بهذا الاختيار إلا لأنه قدر أنه مستطيع أن يخدم به الصحافة ، ولأن المنصب فى ذاته لا خطر له فى غير دائرته المحدودة وهى دائرة النقابة

وقد طال اشتغال المازنى بالصحافة ولم يكن صحفيا مع ذلك ، أو هو كان صحفيا فى حدود خاصة ونطاق لايتعداه . فقد كانت وظيفته الأصيلة وهوى نفسه الكتابة لا الصحافة . وهو يقدم لنا فى أحد فصوله كتابه الساخر الممتع « صندوق الدنيا » صورة وصفية لصحفى ، يقول فى ختامها على لسان رئيس التحرير : « يا صاحبى إنك كاتب لبق يسعك ما لا يسع فرقة بأسرها من الكتاب حين تجلس إلى مكتبك ، ولكنك حين تلقى الناس لا تعود صالحا لشئ أو قادرا على شئ . فاذهب إلى مكتبك ولا تزايله فما نستطيع أن نخلقك خلقاجديدا ! » وأكبر الظن أن المازنى كان يصدر فى بعض جوانب هذه الصورة عن شعوره الشخصى ، وأنه كان يصور نفسه هو

ونورد هنا حادثة لعلها فريدة فى حياة المازنى الصحفى نرويها لدلالتها على ما ذكرناه ، ولما فيها من فكاهة وطرافة فى آن .

ذلك أنه عقب عودة سعد من منفاه ، وفى صباح اليوم التالى لوصوله إلى القاهرة ، كان المازنى واقفا فى محطة الترام فى الإمام الشافعى حيث كان يسكن ، فمر به شيخ الحادين وهم الذين يتولون حفر المقابر وحراستها والقيام عليها ، فرآه وأفضى إليه بأن سعداً آت لزيارة مقابر الشهداء . فبعث المازنى من جاءه بقلم وورق ، ووقف ينتظر ، وبعد قليل أقبل سعد فى سيارته ومعه بعض صحبه فى سيارة أخرى فأشار إليها المازنى لحملته معهم . وزار سعد مقابر الشهداء وألقى كلمة وجيزة دونها المازنى ، ثم قصد إلى قبر شهيد قبطى وألقى كلمة أخرى دونها المازنى أيضا . ولفت بعض الحاضرين نظر سعد إلى المازنى فحياه

ورجع المازنى إلى الأخبار ، واعتذر للأستاذ أمين الرافعى من تأخره ، فضحك ، وقال إن سعدا أخبره بالتلفون أن المازنى أبرع صحفى فى العالم ، لأنه عرف أن سعدا سيزور مقابر الشهداء ، مع أن الذين رافقوه ما كانوا يعرفون هذا ! .. قال الأستاذ أمين الرافعى « وطبعا وافقته ولم أكشف له عن سر هذه البراعة ! » أى أنه لم يقل له إن المازنى يسكن بين المقابر !

* * *

وبعد ، فقد غبرت على المازنى فى الصحافة سنوات طويلات الدد ، كانت كلها سنوات كفاح وجلاد بميا به جبارة الرجال . وأدركه منها بلاء لا يقاس إلى جانبه بلاء

كوليرج

للكاتب الناقد . اى . ى . كيلركوج

بقلم الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

من العسير علينا أن نكتب حياة كوليرج ، أو بمعنى آخر أن هذا العسر سيزداد ويشتد باطراد كلما حاولنا التغلغل فى ماهية هذه الحياة ، وذلك بسبب نكسات الإرادة التى أصيب بها وعللها المختلفة ومعايبها المتعددة ، وهذه الحقائق التى يتطلب منا البحث النزيه ذكرها وتسجيلها هى التى ستضفى ظلالا داكنة على ذلك الوجود الحى الجميل الذى شهد بعظمته جميع معاصريه ؛ ومع ذلك يقتضينا الحق والإنصاف أن نركن إليها حتى نكون قد أدينا واجبنا حق الأداء . زد على ذلك أن هذه السيرة صعبة الإدراك ، لأن كثيراً ممن سيطالع دقائقها سينكر سماحة كوليرج ولطفه ، وسيقتصر على مآسى حياته الظاهرية ناسيا بذلك أحسن ما فيه ، أعنى كوليرج الحقيق ، كوليرج المحب الإنسانى السمح ، الذى سعى جاهدا لمعالجة أدوائه بشغف وحب ، والذى كان فى أشد الشوق لكى يفتح عيون الناس على الجمال الأسنى فى براءة وإيمان عميقين ، وفى خفر ونزاهة بارزتين . مع أنه تلقى حكم الديونة القاسية ببرودة (كشخص تافه فى وسط البهاء والإشماع اللذين كانا ينبثقان من ذهنه الوقاد فى جلال وسمو)

فقصته لا تثير الزاج ولا تغيظ الطبع وحسب ، بل إنها تراوغ الفهم نفسه ، فتجعل حتى القارئ الهادئ الرصين فى حيرة من أمره ، كما حدث لأوديسوس بعد محاولته الثالثة لمانقته والدته فى (الظلال) . لأن العناية الربانية كما يقول دى كوزى (وضعت أمامه احتياطا دائما من الشاق فى طريق حياته) ولو تتبعنا أثر الرجل والتقينا بزرافات من أصدقائه وسألنا أى رجل منهم لكان جوابه : (كوليرج ؟ ذلك الصديق المدهش ؟ لقد كان هنا قبل مدة وقد ساعدناه فى سفره قليلا . لقد أخذ المرحوم جيمس كامبل على نفسه أن يكتب حياة كوليرج بحماسة وصدق ، وقد أدى هذا الواجب خير أداء وبنجاح تام (وعلى القارئ أن يرجع إلى كتابه (حياة كوليرج) ليرى البرهان بعينه) ولم يكتف كامبل بذلك بل إنه أكرم ذكرى الشاعر (فى هذا الجانب الوثنى من الكون) . ومع ذلك ، فلو أننا اقتفينا أثر قصته الملخصة خطوة خطوة لرأينا ازدياد

التدريس . وعجمت عوده فألفته لاهشا ولا رخوا ، وامتحنت معدنه فإذا هو معدن القوة الكامنة فى قرار المحيط أو الثورة القابعة فى سكون الصحراء . ولم تكن طريق المازنى فى الصحافة سهلة معبدة ، وكان بطبيعته المتمهلة الدؤوب لا يحسن الركض ولا يدين به ، فهو لم يصل إلى مكانته إلا خطوة خطوة وفى هينة وأناة وإلا بعد طول التوقل والإصعاد . وكانت تزداد مع الأيام أعباؤه ومتاعبه فلا يزداد إلا فرط جلد واحتمال ، أوفرط سخرية واستخفاف . وقضى المازنى الفترة الأخيرة من حياته على رغم الشيخوخة الزاحفة لا يترفق بنفسه ولا يرحم كبرته فكان أكثر الكتاب الصحفيين إنتاجا . واستكتبته الصحف على اختلاف ألوانها ونزعاتها فلبى رغباتها وإن لم ينزل إلى مستواها ، بل كان يلقاها فى منتصف الطريق ، ويحاول التوفيق بين طبيعته الفنية وبين الاتجاه الغالب على الصحافة وهو اتجاه القراءة السريعة الخفيفة . ولقد قال فى هذا إن جانب الصحفى طغى على جانب الأديب فيه . ولا مراء فى أن السرعة كان لها أثرها ، أو جنايتها على بعض إنتاجه الأخير . على أنه أصح من ذلك أن يقال إنها جناية الصحافة فى عمومها على الأدب فى عمومه . ولم يكن المازنى ضحيتها وحده ، فقد شملت الجيل بأسره ، وأدركت طوائف القراء كما أدركت طائفة الكتاب

يتبع

محمد محمود حمدان

الشكوك الحائمة فى ذهن الكاتب مما اضطره أن يعلن فى النهاية قوله : (إننى إن كنت لم أقدم — فيما اعتقد حقا — إلى مايؤول — على العموم — إلى مايرفع من قدر كوليرج فى عيون الناس فإننى أعترف بجريرتى بشعور الدهشة وخيبة الأمل) ويستطرد المؤلف المذكور قائلا : (إننى على يقين بأن هذا الهيكل المقدس ، على ما فيه من أنقاض ممتزجة بالرخام أبهى مما يمكن أن نشيده نحن من هذه الأحجار المتناثرة هنا وهناك فى الحقول والطرقات) . لقد كان كوليرج تبريرا أمينا صادقا لوجوده . فالرجال والنساء الذين لم يشاركوه فى قصوره ومعايبه لم يتوددوا إليه ولم يتقربوا منه فقط ، بل أنهم أحبوه وأكرموه واتبعوه مسرورين . فقوة الجاذبية هذه هى التى يمكن اعتبارها شاملة عامة — على اختلاف الطبائع والمشارب التى كانت تؤثر فيها وتسحرها — هى وحدها الدليل القاطع والبرهان الناصع على القابليات الفريدة التى كان يمتاز بها . لنا أن نقرأ ونعيد قراءة حياته ولكننا لا يمكن — مع كل هذا — أن نعرفه كما عرفه آل (لامب) أو آل (وردز ورث) أو (بول) أو (هوكان فرير) أو (جلمان) أو (غرين) لأن البغض أعمى كالحب سواء بسواء . ولكن الصداقة لها عيون مفتحة وشهادتها كفيلة بإقناعنا إن نحن استعملناها بحكمة لتصحيح انطباعاتنا وآرائنا)

* * *

ولد صموئيل تايلور كوليرج فى الحادى والعشرين من أكتوبر سنة ١٧٧٢ فى مقاطعة (أوترى فى ديفون شاير) وكان أصغر تسعة أبناء من زواج ثان . وكان والده المحترم جون كوليرج رجلا شفيقا وعالما متتبعا منقبا شارد الذهن معروفا بعدم واقعيته . وقد نشر عدة كتب بعد أن جمع اشتراكات من قرائه مقدما ، كما حاول إصلاح قواعد اللغة اللاتينية . وقد توفى فى سنة ١٧٨١ وبعد انقضاء عدة أشهر تمكن صموئيل الصغير من الحصول على القبول فى كلية (كرايست) . وقد صور شارلس لامب هذه المدرسة وكوليرج تلك الأيام تصويرا خالدا . وقد كان كوليرج أكبر من زميله تشارلى بسنتين ، ومع ذلك فقد بزه فى مضمار الدراسة وسبقه فى سلم التقدم وحصل على درجة أعلى منه بعدة أشهر . فى مقالة تشارلس الآنفة الذكر والموسومة بـ (كلية كرايست قبل خمس وثلاثين سنة) نجد تلك الأساليب البارعة والنكت اللطيفة التى تحبب إلينا تشارلس ، نجدها باعترافه الصريح تخالف مقالته (ذكريات كلية كرايست) وتشير من طرف خفى إلى ذلك الشاب الذى فقد حنان والديه وأهله . فيقول : (كنت صبيا فقيرا لا صديق له . فأهلى ومن يجب عليه أن يعتنى بى بعيدون عنى . أما معارفهم فى المدينة الكبيرة[1] والذين اعتمد عليهم أهلى وأحسنوا فيهم الظن ، ولكن هؤلاء المعارف خيبوا ظن أهلى ، لأنهم تخلوا عنى بعد أن تنازلوا واستقبلونى فى أول زيارة لهم لاستثقالهم زيارتى فى العطل ظنا منهم أن زيارتى هذه ستتكرر كثيرا . وهكذا بعد لأى شعرت بالوحدة القاتلة تلقى بأذيالها بين أترابى الكثيرين . يالالظلم ! كيف يمكن أن يحول حائل بين طفل فقير وبين بيته الذى ترعرع فيه ؟ وما أشد الحنان الذى كان يساورنى تجاه ذلك البيت وتلك الجيرة فى تلك السنوات العجاف ! وكيف أن بلدتى الأصلية تعاودنى فى أحلامى بكنيستها وأشجارها ووجوهها ! وكيف أنى كنت أستيقظ باكيا وفى قلبى ألم ممض وشوق جامح لرؤية (كالن) الجميلة فى (ولتشاير)

وطبيعى أن يكون الصبى هو كوليرج بالذات و (فالن) الجميلة هى (أوترى) فى ديفون ولكن بصورة مقنعة ، ومن الواضح الجلى أن كوليرج شعر بهذه الوحدة : لأن طبيعة مرهفة الاحساس كطبيعته لا يمكن إلا أن تشعر بها بكل حرارة وبكل قسوة وقد ذكر ذلك بجزع مروع فى قصيدته (البرد فى منتصف الليل) كما أنه وعد ابنه بحياة أسعد . ومن الحق أن نقول إنه لم يشعر بذلك طوال

(١) يقصد الكاتب لندن

حياته . لأن رسائله الأولى تتضمن بعض التلميحات والإشارات إلى الأمور العرضيـة والتافهة ، ثم نرى لهجة هذه الرسائل تتغير تبعاً لنمو الروحى والفكرى فتتحول إلى ذكر أشياء أخرى. وقد قال فى سياق إحدى رسائله : (أرجو المعذرة إن ذكرتكم بأن عطلتنا ستبدأ فى الأسبوع المقبل ، وإننى سأخرج للنزهة لمدة أيام ، فاطلب أن ترسلوا لى سروالا جديدا ، لأن ذلك سيكون شيئاً لائقاً بمظهرى وخصوصاً لأننى مضطر إلى الظهور أمام النساء) . وأصبح فى الوقت اللائم إغريقياً ، فوقع فى أحبولة الحب ونظم شعراً صبيانياً فى هذا المعنى . ولو أن الغرام وما تبعه من نظم الشعر ، لم يكن ذا شأن يذكر فى عنفوان شبابه ، إلا أنه قدر لكل هذا أن يكون له أعظم التأثير فى الفترة التى تلت هذه الحقبة الجامحة من حياته . أما الفتاة التى علق بها والتى أوحت بكل هذا فكانت تدعى الآنسة (مارى إيفانز) وهى ابنة أرمل وأخت أحد أتراب كوليرج الذى كان يمتز بصداقته كثيرا

يقول كوليرج متذكراً تلك الأيام (أواه ! ما أجمل ساعات الفردوس بين السادسة عشر والتاسعـة عشر من سنى العمر ، حيث كان (ألن) (تلميذ مدرسة) وأنا نحرس إيفانز فى طريقها إلى البيت فى أمسيات السبت ، وقد كانت فى تلك الأيام تشتغل فى معمل للقبعات النسوية ... وكنا معتادين أن نحمل إلى هناك فى صبيحة كل يوم من أيام الصيف باقات الأزهار الناضرة . ولكن الوحى لم يأت كله من مارى، بل ان ابنة ممرضة المدرسة شاركتها فى ذلك ، وقد وجه شاعرنا قصيدته (جنيفياف) اليها . ويقول كامبـل فى ذلك ما يلى : (كانت العـادة المتبعـة فى ذلك الوقت تجيز لطلبة المتقدمين أن يرتبطوا بأولئك البنات الصغيرات ارتباطاً غرامياً) . أما مارى فقد أعانت (وليم لسل باولز) على إيقاظ القابلية الشعرية لديه ، كما يشرح لنا ذاك الفصل الأول من كتاب (البيوغرافية الأدبية) [٢] ،

وقد وجد النقاد على اختلافهم موضعاً للدهشة والاستغراب فى كل هذا ، إلا أننا لا يجب أن ننظر إلى ذلك بشئ من هذا القبيل

ولنبدأ الآن بباولز ، فان أغانيـه على علاتها ليست رديئة ، وأكثر من ذلك ، فهى تشير ولو بصورة شاحبة إلى الفجر الذى انبثق فى حياة الشعر الانجليزى . ولا شك أنه لو حدث أن وقع فى يدى كوليرج شئ من شعر (بليك) أو (كاولى) أو (برنز) ، وهو على عتبة السنة السابعة عشرة من عمره ، لتبدلت قصة حياته ولكان تحوله أجمل إيقاعاً وأحسن نتيجة . ولـكن حدث فى سنة ١٧٩٠ أو حوالى ذلك أن ظهرت إلى الوجود الحركة الشعرية الجديدة ، وقد سرت عدوى هـذه الحركة سرياناً هائلا جارفاً ، وكان إقبال الشباب عليها شديداً جداً ، ولم يكن بنظر الشباب إلى مصدر ذلك قطعاً ، بل إنه التمس فيها عوناً له فى حيرته التى كان يتخبط فيها [٣] ، ولو أن كوليرج استمد فكرته من مصدر قوى آخر لتغيرت نتائج تفكيره ولأصبحت حياته أكثر تهوراً وأشد عنفاً وغلياناً . أما وقد وقع الأمر كما كان ، فان (الأغانى) البريئة وبجتمع عائلة إيفانز تعاونتا على إبعاده من الميتافزيقا واللاهوت اللذين أمداه بغذائه الروحى فى وقت مبكر من حياته ، وكان هذا الابعاد رقيقاً لطيفاً (بحيث لم يشعر به) . وقد اعترف كوليرج بفضل باولز لأنه كما يقول (أدى له فضلا لا يوازيه إلا فضل الـكتاب المقدس) ، ومع ذلك فان محاولاته فى نظم الشعر كما اعترف بذلك نفسه فى استكانة واستحياء لم تخرج من طوق ما تعارف عليـه الأقدمون من أوزان ومقاييس وبحور . وفى كانون الثانى (يناير) سنة ١٧٩١ وافقت لجنة الوكلاء بكلية (كرايست) على السماح له بالالتحاق بجامعة كيمبردج ، وكانت بداية عمله هناك ودراسته جيد جداً بحيث أنه نال وساماً ذهبياً فى سنة ١٧٩٢ لقصيدته الرائعة فى ذم تجارة الرقيق ،

(٢) الحياة الأدبية

(٣) من كلام المترجم

خاطرة

نـــــداء (الرســــالة)

للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

يا رسالة الشرق !

أشرقت فى أفق المعرفة منذ عشرين عاما ؛ فبهرت الأبصار ولم يأخذك البهر ، وحددت المثل العليا ، فسمت الخلائق ثم تساميت عن ممالأة الخلق !

انطوى تحت لوائك الأعلام ، فحملوا المشاعل ليشملوا النفوس الخابية ، ويحفزوا الهمم الكابية ، ويرسموا الخطط القويمة ، ويصوروا صور الإنسانية الفاضلة !

والتزمت خطة الإباء المتزن ، والشمم المتزن ، والتحفظ المتئد ، والتطلع السامق ، والترفع المف !

يا رسالة الفكر !

أرخت حياة الأدب فى صفحاتك ، وسجلت نتاج الأفكار تسجيل التخليد ، ووصلت ما بين الشرق المتحفظ والغرب المنطلق ، فتلاقت فى ميدانك ألوان ثقافات العصر فى الفكرة الجديدة ، والأسلوب المبتكر ، والأداء السليم ، والنقد المستقيم ، واللمحة الوضاءة !

يا رسالة الوجدان !

أرسلت حداء القلوب فى تناغم العاطفة ، وعاطفت بين المشاعر الإنسانية ، فتفتح الوجدان عن كمه ، ليلقط قطرات الصبابة بعد أن انبعثت معتصرة من شئون الشجون !

كان شعرك صورة حية لشعورك فى صفاء الديباجة ، ونقاء الألفاظ ، ومتانة الرصف ، وصدق الوصف ، وجمال المأخذ !

يا رسالة الروح !

وجهت النفوس إلى الخالق فى إيحاء الخشوع ، وتواضع الدعة ، وخلوص النية ، ولطف السجية ، وجلال الإشارة ، وبلاغة العبارة ، حتى حلقت الأرواح معك ، وجاوبت أصداء هتفاتك ، فعرفت بعد أن اغترفت ، وهامت بعد أن ألهمت !

يا رسالة الضمير !

عاتبت الغفلة ، وحاسبت الغفوة حتى تيقظ الوسن ، وتلفت اللاهى ؛ ثم صورت ما يجب أن تكون عليه النفس الفاضلة فتنصت إلى الصوت الخفى حين يناديها ، لتزن الأمور وفق ندائه وتترك المباغى الذاهبة لتحيا فى ظلال النزاهة !

يا رسالة الإنسانية !

لا أريد أن أمرق إليك بالملق ، أو استنديك بالحمد ؛ فأنت فى غنية عن ملق وحمدى ، لكنى أريد أن تمايشى الناس فى نطاق حياتهم ، لأنك صورة جليلة للانسانية السامية !

صورى النقائص بالنقائص ، وهاتى الصورة «العارية» لتكشفى عن سوأة الرذيلة !

وكاد أن ينال زمالة (كرافن) لولا تمسك بور سون (أحد المحكمين) ضده . وفى تشرين الثانى سنة ١٧٩٣ ترك كوليرج كيمبردج إما خوفاً من ترا كم ديونه أو من أثر نوبة عصبية شديدة أصابته بسبب رفض مارى إيفاز لالتماساته . ومع ذلك يشك الآن فى أهمية هذين السببين فى تقرير مصيره . وعلى كل حال فقد اتجه كوليرج إلى لندن لينخرط فى الثانى من كانون الأول فى سلك الجيش) فيصبح أحد جنود الفرقة الخامسة عشرة للفرسان والمعروفة بفرقة (دراكون) الملكية تحت اسم مستعار هو (سايلاس تومكن كومربيك) وربما كان من سخرية القدر أن يدعى (بالفارسى) لأنه كان قصير القامة بديناً ، أبعد ما يكون عن الرشاقة : وفى نيسان ١٧٩٤ تمكن أقاربه من الحصول على ترخيص بتسريحه من الجيش . بعد مشقة شديدة ، وبعد ذلك أعيد قبوله فى كلية (كرايست) مرة أخرى

البقية فى العدد القادم يوسف عبد المسيح ثروت



مشروع هندسى لتحسين المواصلات النهرية فى روسيا

أتمت الحكومة الروسية أكبر مشروع هندسى فى تاريخ المواصلات النهرية وهو ربط نهرى الفولجا والرون بقنال مائى طوله ٦٢ ميلا يجاوره ثلاثة خزانات رئيسية ذات حجم هائل . وبربط أكبر أنهار الاتحاد السوفييتى بعضها ببعض استطاعت روسيا السوفيتية أن تنشئ فى دخيلتها بحرا جديدا تمج فيه السفن وسائر أنواع المواصلات المائية الحديثة . وقد اعترفت الأوساط الهندسية خارج الاتحاد السوفييتى بأن هذا المشروع هو من أدق المشروعات الهندسية وأعظمها فى تاريخ المواصلات المائية

وقد أنفقت السلطات الروسية على هذا المشروع وقتا وجهدا ومالا كثيرا ، ولكن الفائدة العملية التى ستتولد عن هذا المشروع تفوق بكثير ما أنفقت عليه من مال وجهد

وقد نصبت لإدارة هذا المشروع ستة محركات كهربائية هائلة فى كل محطة من محطات المضخات الثلاث التى أنشئت على مجرى القنال الذى ربط النهرين ، وفى كل مضخة عدد من آلات القوة الدافعة تسير بتيار قوته ٤٤٠٠ كيلواط يربط مياه النهرين عبر القنال الجديد فى أنبوبة فولاذية قطرها عشر أقدام تتدفق مياهها إلى مجرى القنال لتحفظ عمقه المائى على نحو ما تقتضيه حمولة السفن التجارية التى أخذت تستعمل القنال لتنقل البضائع والركاب من المناطق الآهلة بالسكان فى حوض نهر الأوبى إلى المناطق البعيدة التى تجاور نهر الرون

وقد احتفلت السلطات السوفيتية بافتتاح القنال الجديد احتفالا كبيرا رددته ألسنة الرأى العام ونشرات الدعاية والأنباء التى تبثها السفارات والبعثات السياسية الروسية فى العالم الخارجى

يا رسالة المثالية !

أنت حصيد تجربة ، تزنين الأمور فى ميزان الخبرة ، لكنك تبعدين عن البذلة ، وتتحاشين التدلى ، وتؤثرين السلامة ، والحياة غافلة فى ملهاة الشهوة ؛ فصورى التلهى بالتشهى ، وقاربى بين التدلى والتسلى !

إنك مجدة فى جد.. ؛ فهلا سخرت من الهزل فى سخريتك ؟ ! الزمن للأضاحيك ، وأنت ذات بسمة حكيمة ؛ فاجعلى من البسمة حكمة ، وروضى تلك الطباع النافرة على التأدب بأدبك !

يا رسالة الخامسة !

أنت فى عهدك الجديد السعيد تنزعين إلى منزع التحرر ، وتنطلقين مع الحياة فى تحفظ اعتزازك ، وتصونين مكانتك ، وتوقرين مهابتك ؛ فالقلوب هتافة معك ، والأرواح متصلة بك !

يا رسالة الرسالات !

إليك نفوسنا نزاعة إلى رحابك ، وخواطرنا متسامية فى تساميك ؛ فأشرقى أشرق ؛ لتبعثى النور مع البعث الجديد !

أحمد عبد اللطيف بدر

وفاة جون ديوى

توفى فى أول يونيه الماضى «الدكتور جون ديوى» أحد أعلام الفكر الأمريكى المعاصر وعميد الفلسفة والتربية « البرجماتزمية » التى تتميز بها الثقافة الأمريكية عن غيرها من ثقافات الغرب

وقد بلغ الدكتور ديوى من العمر ٩٢ عاما وأنتج ما يزيد على ٣٠٠ مؤلف من مختلف الأحجام وفى مختلف الموضوعات المتعلقة بالفلسفة والتربية والتوجيه السياسى وعلم النفس والاجتماع

ولعل أبرز ما ساهم به الدكتور ديوى فى حاضر الثقافة الأمريكية هو نظريته فى التربية العملية « Learning through Doing » التى أصبحت الآن من مميزات أسلوب التربية

والتعليم فى الولايات المتحدة الأمريكية

وقد جاهد هذا المربى الامريكى الكبير فى الدعوة إلى نظريته التربوية شارحا للناس بأن العلم المجرد لا ينفع صاحبه إلا إذا رافقه إدراك عملى لوسائل تطبيقه على الحياة اليومية . ولذلك دافع ديوى عن النظرة « البرجمازمية » للحياة وقال بوجوب تسخير الثقافة المجردة لخدمة الفنون التطبيقية التى تنفع الناس فى حياتهم العملية . وقد واجهت هذه النظرية انتقادا لاذعا من قطب أمريكى آخر له مكانته الهامة فى بيت المربين الأمريكان هو الدكتور روبرت هاتشنز رئيس جامعة شيكاغو . ووصف الدكتور هاتشنز نظرية ديوى بأنها « رجعية تتعارض مع الثقافة السليمة » وقال هاتشنز كذلك بأننا يجب أن نبتذل العلم والثقافة الرفيعة لكى نساعد على جعل المدرسة مصنعا لإخراج التلاميذ . فللثقافة الرفيعة أهميتها فى حياة الشعوب حتى ولو كانت مقصورة على فئة مختارة من الناس اختارت التخصص فى العلم المجرد . فإذا عجزنا عن جعل كل طالب فى كل مدرسة يتذوق العلم المجرد والمتعة الثقافية العالية فلا أقل من أن نوفر هذه الفرصة لأولئك النفر من الطلبة الذين يؤهلهم استعدادهم الخاص لتذوقها . فمثل هذا النفر هو المسؤول عن مستقبل الحضارة والثقافة فى كل شعب من الشعوب

« ت . س . اليوت » وشعره فى سن الشباب

نشر الأستاذ « كارلوس بيكر » أستاذ الأدب الحديث فى جامعة برنستون الشهيرة بحثا طريفا عن أمير الشعر الإنكليزى المعاصر (ت . س . اليوت) بمناسبة انقضاء ٣٠ عاما على ظهور ملحمته الخالدة « الأرض الخراب »

ويقول الأستاذ بيكر أن شعر اليوت فى سن الشباب يتميز بالنقد الاجتماعى اللاذع الذى مهد له السبيل لبناء مدرسته العتيدة فى الشعر العالمى المعاصر . فللمستر اليوت مدرسة فكرية هامة لا يقتصر نفوذها على حاضر الشعر الإنجلوسكسونى بل يتعداه إلى أوساط أدبية أخرى -

وقد ولد اليوت فى أمريكا عام ١٨٨٨ ، ثم نزح إلى بريطانيا واختارها وطنا له

وقد اشتهر هذا الشاعر المجود باتجاه الأدبى فى قصائد من الشعر الطليق واصفا حياة المجتمع التقليدى المحافظ فى بوسطن — وهى أشد المدن الأمريكية شبها بالمجتمع البريطانى . وقد وزن الشاعر حياة المحافظين من المترفين بميزان الفكر الحر فجاءت قصائده سجلا لما يعترى هذا المجتمع المترف من جفاف روحى وقلق عاطفى لم تستطع أن تدفع شره أسباب الطمأنينة الاقتصادية وما وفره لهم مركزهم الاجتماعى من رخاء وبحبوحة فى العيش

ثم التفت الشاعر إلى حياة الطبقة التى لم تستطع أن تضمن بحبوحة العيش والطمأنينة الاقتصادية — من العمال والمجتمعات الفقيرة التى تعيش على هامش الحياة فى المدن الصناعية الكبرى . ووجد اليوت أن هذه الفئة من الناس تعانى أزمات روحية وألوانا من القلق العاطفى ولكنها أزمات أخف حدة بفضل البساطة التى تسود تفكيرهم فى شؤون الحياة وشاكلها . وبين هاتين الفئتين وجد المستر اليوت فئة ثالثة موزعة الأهواء مشوهة الفكر لا ترضى عن حياة الترف وما يصاحبها من ثقافة وتفكير روحى ، وترفض جهالة الطبقة العاملة وما يعتريها من جمود عقلى لا يرضى عنه العقل النبيه

وقد وصف هذا الشاعر تمازج هذه الفئات الثلاث فى الحياة اليومية فى ديوان له سماه « بروفروك » أصدره فى عام ١٩١٧ وفى مجموعة من القصائد نشرها عام ١٩٢٠

وقد لفت المستر اليوت النظر فى تلك المرحلة من فتوته الشعرية إلى بلاغة وصفه للطبقات العاملة فى قصائد وجدت جمال التعبير وقوته فى وصف زكائب الأقذار والغرف المظلمة القاتمة والأثاث المكسر الوسخ . وانفرد اليوت فى صياغة هذه المناظر فى شاعرية أثبتت أن الشاعر الحق يجد الجمال فى المنظر البهيج وفى المناظر والمشاهد التى هى أبعد ما تكون عن البهجة

وكان شعر اليوت في فترة شبابه مطبوعاً بطابع السخرية والنقد الاجتماعي اللاذع ثم مر الشاعر في فترة نضوج عقلي سيطرت على تفكيره سيطرة تامة فجملته يبحث في تراث الماضي عن علاج لأزمات الساعة ومشكلات الفئات الثلاث التي يتكون منها المجتمع . ولم يقتصر اليوت على الشعر في نشر آرائه في هذه الفترة بل عمد إلى النثر . وله عدة كتب تحتوي مقالات نثرية هي من أثمن ما في الأدب الانجليزي الحديث من نتاج . واعتنق اليوت الكاثوليكية بعد أن كفر بالبروتستانتية التي نشأ عليها لاعتقاده بأن البروتستانتية دين لا يكترث بذخيرة الماضي الروحية ولا يعتني بها عناية الكنيسة الكاثوليكية

وفي عام ١٩٥٠ نشر المستر اليوت مسرحية جديدة بعنوان « حفلة كوكتيل » عاوده فيها حنينه إلى النقد والسخرية

ولا يزال المستر اليوت زعيماً لمدرسة الشعر الحديث في العالم الانجلوسكسوني. وهو يقيم في بريطانيا اليوم ويتولى إدارة إحدى كبريات دور النشر البريطانية

الحياة الأدبية في أمريكا اللاتينية

عالم واسع الأرجاء يطفح بالحياة والثورة الفكرية الجامحة — هذا العالم اللاتيني المؤلف من حوالى ٢٢ دولة ودويلة في أمريكا الجنوبية . ومع ذلك يندر أن نعثر في صحف الأدب والفن على استعراضات للحياة الأدبية والفنية في أمريكا اللاتينية — وكل ما يعلمه الناس عن أبناء الأرجنتين والبرازيل والشيلي وفنزويلا وبيرو وكولومبيا وسواها من الأمم اللاتينية في أمريكا الجنوبية لا يتجاوز الأخبار الصاخبة التي تصاحب الانقلابات العسكرية والسياسية التي أصبحت علماً على هذه الدول

والواقع أن الضجة السياسية في أمريكا اللاتينية تخفي ثورة فكرية جامحة فيها كثير من العناصر التي تصاحب الحياة الفكرية في البلاد الآسيوية

وقد استعرض أحد الكتاب في الملحق الأدبي لجريدة النيويورك تايمس مؤخراً الحياة الأدبية في هذه الدول اللاتينية فوجد أن من أهم العناصر التي تؤثر في الإنتاج الفني لأرباب القلم في أمريكا اللاتينية عنصرين : الحرية السياسية ، والعدالة الاجتماعية — وهما كأرى عنصران لهما شبيه في حاضر الأدب الغربي والآسيوي إجمالا

وفن القصص في أمريكا الجنوبية فن ضعيف ، إلا من قلة ضئيلة يتزعمها القصصي الفنزويلي (رامون دياز سانشيز) . وقد أصدر هذا الكاتب مؤخراً قصة هي غاية في الابداع تعالج حياة العمال الوطنيين في مناطق آبار البترول الفنزويلية التي تتحكم بها الشركات الأمريكية . والقصة سجل للتطور النفساني العميق الذي يمر به العامل حين ينتقل من حياة بدائية تقريباً في الجبال والمراعي إلى ضجيج المؤسسات الصناعية العصرية على نحو ما نشهده في شرقي الجزيرة العربية هذه الأيام . ولهذا الكاتب قصة أخرى تعالج العراك العنصري بين الزنوج والسكان البيض (في العنصر الاسباني) في المزارع الاقطاعية المنتشرة في أمريكا اللاتينية

ويبدو أن القارئ في أمريكا اللاتينية يشارك القارئ الغربي في إقباله على كتابة القصة القصيرة . فالأقاصيص رائجة هناك كتابة وقراءة

وقد انفردت جمهورية الشيلي من بين شقيقاتها الدول اللاتينية الأخرى بأنها قد أبرزت أعظم شاعر في المنطقة كلها . وهو السنيور (جابرييل ميسترال) الذي منح مؤخراً جائزة نوبل للآداب

محاضرات ومناظرات

شكل الدولة في الدستور الجديد

تناظر في هذا الموضوع أربعة من أقطاب الفكر يوم الثلاثاء الأسبق بالجامعة الشعبية ، واحتشد لسماعهم بضعة آلاف من الناس كانوا يشتركون في المناظرة بقلوبهم وعواطفهم ، إذ الموضوع موضوعهم ، ثم هو موضوع الساعة ! وقد انعقد إجماعهم — أو كاد — على الموافقة على الرأي القائل بأن تكون الدولة جمهورية ، ولهذا فقد كان صاحب الرأي الذي يرى أن تكون الدولة ملكية ضعيفا حرجا ، فالجمهور يعارضه في كل قول ، ويثور عليه في كل رأي ، وهو لا يتزحزح عن موقفه حتى انتهى كلامه وهو يصيح في الحاضرين (لكم دينكم ولي دين)

وكان الوقت المقسوم لكل من الأربعة المتناظرين نصف ساعة ، فالتزموه ولم يعده واحد منهم ، وعقب عليهم الدكتور منصور فهمي — ولم يكن له وقت مقسوم — فاستغرق في تعقيبه ساعة ؛ وشارك الكثيرون في مناقشة الموضوع ، واشتد بالجمهور الحماس ، وانهالت الأسئلة من كل صوب على المتناظرين ، ولم تنته المناظرة إلا بعد أربع ساعات وكان المحدود لها ساعة ونصف ساعة فقط ! وكان سيرها على الوجه الآتي :

نهض الأستاذ محمد علي علوبة فقال :

لأول مرة نستطيع أن نجتمع لنناقش مثل هذا الموضوع الخطير الذي لم نكن نستطيع أن نمسه — ولو من بعيد — في العهود الماضية ، ولكم هو شعار عهدنا الحاضر ، الدولة دولة الجميع ، والوطن وطن الجميع ، ليس لواحد فيه أكثر مما لأخيه ، فلكل أن يبدي رأيه في نظامه ودستوره وقوانينه التي سيؤخذ بها جميع المواطنين على السواء

ولو ذكرتم التاريخ القديم للانسانية لوجدتم أن نظام الحكم فيها كانت نظاماً أوتوقراطية مسرفة ، حيث كان يحكم الشعب فرد واحد لا رأي إلا رأيه ولا هوى إلا هواه والشعب قطيع لا يملك من أمر نفسه شيئا !

واستمرت الشعوب على هذه الحال أزمانا طويلة ، ثم بدأ الوعي يتسرب إليها رويدا رويدا ، وأخذت تنفض عن عيونها غبار هذا السبات الطويل ، واشتد بها الوعي والإدراك ، نطالبت بأن يكون إليها حكم نفسها ، وأن تكون — دون سواها — مصدر كل السلطات

وصوت الشعوب قوي غلاب ، لا تثبت أمامه قوة فرد وإن يكن من الجبابرة المردة ، فتحقق لها ما طلبت ، وصارت الأمم في كل بقاع الأرض — إلا النادر القليل — مصدرا لكل أنواع السلطات في أرضها ، وصاحبة الكلمة العليا في تصريف أمور بلادها ، ونشأت هذه الكلمة السحرية ، وسرت في العالم ، وأعني بها كلمة (الديمقراطية) ونتج عنها نظام (الملكية الديمقراطية) ونظام (الجمهورية الديمقراطية) وكلا النظامين ... كما يبدو من اسمهما ... مقرون بصفة الديمقراطية ومقيد بها ، لتضمن الشعوب بذلك أن تظل صاحبة السلطان

ولو رجعنا — في مصر — إلى المائة سنة التي مضت فماذا نحن واجدون ؟

نجد أن الحكم كان عندنا إما أوتوقراطيا سافرا أو أوتوقراطيا يسنده شيء اسمه الدستور ! نجد أن « عرابي » يطلب إلى « توفيق » — في تواضع — العدل ويطلب إليه البرلمان ، فيجيبه هذا الحاكم لطلق بقولته المشهورة : « كيف تجرؤن على هذا وأنتم عبيد إحساناتنا ؟ » . ونجد أن الجيش يطلب إلى « إسماعيل » ألا يستأثر الجنود الأجانب بالمناصب الكبيرة في جيش البلاد وأن يشترك معهم الجنود المصريون فيها ، فيأبى عليهم إسماعيل ذلك ؛ بل وينزل بهؤلاء الطالبين العقاب الأليم . ونجد هذه

الوحشية التي كانوا يسمونها (الالتزامات) ومعناها أن تباع القرى برمتها إلى (ملتزم) نظير مبلغ معين ، ثم إذا بهذا (الملتزم) يلهب ظهور أهل القرية بالكرباج ليجمعوا له المال الذي يدفع منه نصيب الحاكم في هذا «الالتزام» . هذه نماذج مما نجده في حكم الفرد منذ مئة سنة ، أما عهد فاروق فأراني في غير حاجة إلى بسط القول فيه وهو مازال ماثلا لأعينكم ، ومن عجب أنه كانت تسنده طول مدة حكمه برلمانات لا أدري أهي حقاً برلمانات أم شركات ؟

أريد أن يستقر في أذهاننا جميعاً أن صلاحنا لا يكون بصلاح فرد وإنما يكون بصلاح المجموع ، وأن يستقر في أذهاننا أننا كنا دائماً في خلال هذه السنوات المائة شركاء في المسؤولية ، وأن هذه السنين كانت وبالا مستمراً وفساداً دائماً لهذه الأمة . إن الدين الإسلامي يا حضرات السادة — لا يعرف الملكية ، ويكفي دليلا على ذلك أن محمدا سيد الخلق لم يعين أحدا بعده ، وأن خلافة أبي بكر بعده إنما كانت بالبيعة وهي انتخاب ، وكذلك كانت خلافة عمر وعثمان إلى أن صار ملكا عضوضا فضاعت هيبة المسلمين .. إن الدين الإسلامي يقرر أن الأمر شورى بين الناس ولذلك لا أستطيع أن أنصح إلا بالجمهورية

ثم أعقبه الدكتور وحيد رأفت فقال : —

أعلم — قبل أن أتكلم — أن موقفي بينكم حرج شديد الحروجة ! لأني سأنفرد برأي لا يقرني عليه أحد من زملائي ، وما أحسب أحدا منكم سيقرني كذلك ! فكلمة « الملكية » مقرونة في أذهانكم باسم « فاروق » وبئس القرين ! ولكن أرجو أن تعلموا أننا لا نضع دستورا لليوم فقط ولكننا نضعه للأجيال القادمة أيضا : وليس كل الملوك فاروقا ، وفي الملوك — كما في الناس جميعا — الصالح والطالح ، وقد بقي النظام الملكي حتى اليوم في بلاد عريقة كإنجلترا وسويسرا والنرويج ، رغم أن الإنجليز شنقوا من ملوكهم واحدا وطردوا آخر ! وليس النظام الجمهوري — كما يتصور البعض — ضمانا قاطعا من الظلم والطغيان ، فقد أدى في أمريكا مثلا للدكتاتورية دائما ! إن حول رئيس الجمهورية الأمريكية وزراء ولكن لا رأي لهم ولا وزن لكلامهم ورأيه هو الأعلى دائما . وإن إلى جانب رئيس جمهورية فرنسا رئيس وزارة هو بمثابة دكتاتور فعلي للبلاد ، وإن الجمهورية في فرنسا هي سبب الاضطرابات والقلاقل والهزات المالية التي تنتابها دائما . إنني لا أشير بغير النظام الملكي على ألا يكون فاسدا مفسدا كالذي رأيناه ، فكيف نضمن ذلك ؟ إنكم مسئولون إلى حد كبير عن هذا الفساد الذي استشرى في بلادكم ، وكيفما تكونوا يول عليكم ، وقد أعطيتم الملكية درسا قاسيا لن تنساه قرنا — على الأقل — من الزمان ، ولن تكون الملكية طاغية في مصر بعد اليوم

وأعقبه الدكتور مصطفى الحفناوي فقال : —

من حق الشعوب — يا سادة — أن تختار لون الحكم لنفسها بنفسها مستندة في ذلك على حقها في الحرية والاستقلال وهو حق لا يسقط بالتقادم ولا يجوز أن يباشر بالإنابة ، فما النظام الذي يختاره الشعب ؟ سواء عندنا أن يسمى رئيس الدولة ملكا أو رئيس جمهورية ، ولكن يجب أن يكون الحكم ترجمة لشعور الأمة وضمانا لتوزيع العدل بين آحادها

ونحن لا نستطيع أن نستند في اختيار لون الحكم على سوابق الدول الأخرى ، فالدساتير كالنبات ينمو هنا ويذبل هناك ، وإذا أردنا الإبقاء على الملكية فمن يكون الملك ؟ أنبقي على هذه السلالة العلوية وإن الصالح لا يخرج من صلب الفاسد أبدا ؟ أنقدم التاج لهذه الأسرة ونكرر تجربة ذقنا منها الأمرين مائة وخمسين عاما ؟ إن الأمر يجب أن ينتهي إلى الأمة فتنتخب هي رئيسها وتعزله إذا رأت منه اعوجاجا ، فيكون أمرها إليها لا إليه . ولذلك فلا أوصي بغير الجمهورية

ونهض على أثره الأستاذ إحسان عبد القدوس فتكلم في بساطة وسهولة قائلا : —

تحكم مصر من عهد الفراعنة حكما ملكيا ، فتأكد معنى هذا الحكم في النفوس ، وأصبح من الصعب إيجاد الخيال السياسي للتحرر من هذا المعنى . ومنذ عهد الفراعنة لم تحكم مصر بمصري ومع ذلك فإن البعض يريد أن يفوت علينا هذه الفرصة الذهبية ويعيد إقامة ملوك يبدءون صالحين ثم ينتهون فاسدين ! وحجة هذا البعض أن الملكية نظام استقرار ؟ فأي استقرار هذا ؟ إنه الجمود والتحجر والوقوف عند مصلحة الملك . إنه استقرار للعرش وللملك لا للشعب ولا لأبناء الشعب .. إن النظام الملكي هو سبب خلق نظام الطغيان فالملك يريد أن يكون إلى جانبه طبقة مثله يؤيد بها عرشه وينفذ بها رغباته ولن توجد هذه الطبقة إلا على أشلاء الطبقات الفقيرة البائسة .. إنهم يسألون من يكون رئيسا للجمهورية ؟ كأن مصر قد عقمت عن أن يكون بها رجل يحل محل الطفل أحمد فؤاد ! لقد عملت استفتاء في موضوع مناظرتنا الليلة ولا أذيع سرا إذا قلت إن الإجماع يكاد يكون منعقدا على تحبيذ الجمهورية فأنا لا أشير إلا بها

جامعة الأمم العربية على ضوء فلسفة العهد الجديد واتجاهاته

في السادسة من مساء الجمعة السابق اجتمع بقاعة يورت عدد من الناس لسماع محاضرة الدكتور محمد صلاح الدين وزير الخارجية الأسبق في هذا الموضوع ، وقد استغرق إلقاؤها ساعتين ولا قليلا كان المحاضر أثناءها يفيض بالحديث المدعم بالأرقام والإحصاءات والتواريخ كأنه يقرأ من كتاب مفتوح مع أن إلقاءه كان محض ارتجال ! ويمكن أن نلخص هذه المحاضرة القيمة فيما يأتي : —

لعل التعبير بجامعة « الأمم » العربية أولى من التعبير بجامعة « الدول » ، وأنتم تذكرون عصبة « الأمم » قديما وهيئة « الأمم » المتحدة حديثا ، وكلها هيئات قامت للدفاع عن الأمم وتنظيم العلاقات بين الشعوب . أما جامعة « الدول » العربية فهي الهيئة التي أنشئت في الشرق الأوسط من الدول السبع « مصر وسوريا ولبنان واليمن والعراق والأردن والمملكة العربية السعودية » للدفاع عن للبلاد العربية جمعاء المشتركة منها في الجامعة وغير المشتركة . وتم عقد ميثاقها — كما تعلمون — في الإسكندرية سنة ١٩٤٥ بين تلك الأمم التي تربط بينها علاقات الجوار واللغة والدين والعادات والتقاليد وما إلى ذلك من علاقات تضرب في بطون التاريخ إلى آماد سحيقة بعيدة . وقد وهم البعض أن هذه الجامعة إنما أريد بها أن تكون أداة ذلولا في يد الإنجليز ينفذون بها مآربهم ، ولكنها أثبتت أن هؤلاء جد واهمين ! فقد عملت جاهدة على استكمال السيادة لمن تنقصها السيادة من البلاد العربية ، وحققت جاهدة كثيرا من الأغراض المشتركة بين البلاد العربية كالثقافة والسياسة والاجتماع والمواصلات والقوانين وسواها ، وذلك ليس من مآرب الإنجليز في شيء ! ولكننا لسنا اليوم بصدد سرد أعمالها وجهودها في الماضي فلذلك مقام آخر ، وإنما نحن اليوم بصدد الحديث عنها الآن في ظل هذا العهد الجديد .. كان الملك السابق يتدخل تدخلا سافرا في أعمال الجامعة لمآرب يبغي تحقيقها لنفسه ، كان يبغي — كما كان أبوه يبغي من قبله — أن يكون خليفة المسلمين ! فكان يجمع الملوك ويوفد الوفود ويلقي بالتصريحات المملوءة بالحماس في بعض القضايا العربية كما عمل مثلا في قضية سوريا ولبنان ! ولكنه لم يكن ينظر في ذلك جميعه إلا إلى شخصه . فلما عز عليه تحقيق مطالبه انقلب عدوا للجامعة وساءت العلاقات بينه وبين الكثير من الأسر الحاكمة في البلاد العربية ، وخفت صوت الحماس منه وكان قويا ! وبزوال فاروق زال هذا العنصر الشخصي الذي كان يتدخل في أعمال الجامعة ، وصارت اجتماعاتها اجتماعات شعوب لا اجتماعات ملوك وأمراء كالتي كان يجمعها فاروق ، وأسبغ العهد الحاضر ظلا وارفا من رعايته على الجامعة . وليس من عجب في ذلك ،

فإن العهد الحاضر تربطه بالجامعة أسباب وأسباب ، (فلسطين) هي أول حجر في هذا العهد كما تعلمون وقائد الحركة قد حارب هناك وجرح ، وقضية (الأسلحة الفاسدة) هي — كما تعلمون أيضاً — من الأسباب المباشرة لهذه الحركة ... لهذا كان طبيعياً أن نرى العهد الحاضر يحتضن الجامعة ، ويحتضن قضايا الأمم العربية عامة فيهب هبة الليث المصور لموقف ألمانيا من إسرائيل ، ويأسو جراح المكلومين الشاردين في غزة ، فيسوق إليهم الغوث والعون في « قطار الرحمة » ! ...

علي متولي صلاح

أخبار أدبية وعلمية

مفردات ابن البيطار

أذاع الدكتور سارنللي أستاذ صحة المناطق الحارة في المعهد الشرقي نابولي وهو في الثانية والستين من عمره وحجة في تاريخ الطب في الشرق الأوسط أنه اكتشف في طرابلس مخطوطاً عربياً قديماً يؤيد القول بأن ابن البيطار الطبيب العربي الكبير الذي اشتهر في القرن الثالث عشر بعلم العقاقير والأعشاب لم يكن واضع « كتاب الأدوية المفردة » بل كان شارحاً له ومعقباً عليه

وصرح الدكتور سارنللي بأنه كان على الدوام متفقاً في الرأي مع الأستاذ ماكس مايرهوف أحد أساتذة جامعة القاهرة الذي كان يعتقد أن كتاب ابن البيطار ليس إلا نسخة مقرونة بملاحظات للكتاب الذي وضعه في القرن الثاني عشر الفيلسوف العربي الأندلسي أبو جعفر أحمد ابن محمد ابن السيد الغافقي الذي ضاعت نسخته الأصلية

استغلال أشعة الشمس في توليد الحرارة وإدارة الآلات !

سيلقي المسيو فيلكس ترومب مدير المركز الوطني للأبحاث العملية ومنشئ « الفرن الشمسي » الوحيد الذي يعمل في فرنسا ، محاضرة يوم ٢٢ يناير عن الحالة الحاضرة لاستغلال طاقة الشمس ، وما يحتمل أن يحقق في هذا المضمار في المستقبل

وجدير بالذكر أن هذه الطاقة الجديدة تستغل الآن ، بواسطة تركيز حرارة الشمس ، في تسخين الماء وتعديل حرارة المنازل ، ويمكن استغلالها في توليد القوة المحركة

غير أن المسيو ترومب يوجه جهوده وأبحاثه إلى توليد حرارة مرتفعة جداً من الشمس ، ويقوم بهذه الأبحاث ، مع عشرين باحثاً من أعوانه ، في قلعة « مونلوي » بجبال « البرانس » على ارتفاع ١٦٠٠ متر ، وفي هذه المنطقة يقوم منذ عام ١٩٤٩ ، أول فرن لجمع أشعة الشمس وتركيزها ، وذلك لاستخدامها قريباً في النواحي الصناعية .. ويتكون فرن « مونلوي » هذا من جهاز لتوجيه أشعة الشمس ومرآة ومن مركز لجمع الأشعة . وتبلغ حرارة هذه الأشعة ، عندما يعكسها المركز من ٣٠٠٠ إلى ٣٫٥٠٠ درجة مئوية . فإذا وضع ٥٠ كيلو جراماً من الحديد في هذا المركز انصهرت في أقل من ساعة

ويعمل هذا الفرن ما بين ٢٠٠ و٢٥٠ يوماً في العام ، ولكن إذا أنشئ مثله في أفريقيا فإنه يستطيع أن يعمل ٣٠٠ يوم في السنة

انفجار على بعد مائة مليون سنة ضوئية !

من أنباء بالومار بكاليفورنيا أنه حدث في طبقات الجو العليا وعلى بعد مائة مليون سنة ضوئية من الأرض انفجار يعادل انفجار القنبلة الهيدروجينية

ويقول الفلكيون في معهد العلوم بكاليفورنيا أن الانفجار وقع حين اصطدم جسمان غازيان ، وقد أيدت المراصد في انجلترا واستراليا وقوع هذا الانفجار ..

ويقول العلماء إن الانفجار أطلق قوة مقدارها أربعمائة تريليون كاتريليون كيلوات (أي أربعة أمامها اثنان وثلاثون صفراً) وهو ما يفوق قوة جميع محطات الراديو في العالم مجتمعة

جائزة جونكور

فازت بجــائزة جونكور الأدبية الفرنسية الـكاتبة البلجيكية « بياتريكس بيك Béatrix Beck » . وهى وإن كانت بلجيكية من أبيها الذى كان ميــالا للأدب ويصدر مجـلة أدبية فى بروكـل إلا أنها ونشأت وتعلمت فى فرنسا

ولدت بياتركس فى الثلاثين من يونيو عام ١٩١٤ فهى الآن فى الثامنة والثلاثين من عمرها . وبعد عامين من مولدها أى عام ١٩١٦ مات والدها . وعندما أتمت دراستها الثانوية التحقت بكلية الحقوق فى جرونوبل حيث تعرفت إلى زميل روسى لها فى الدراسة فتزوجت به وهجرت دراســتها أثر زواجها عام ١٩٣٦ . وعند إعلان الحرب العالمية ذهب زوجها ليحارب فى صفوف الجيش الفرنسى ولم يلبث أن توفى عام ١٩٤٠ . وقيل إنه انتحر فى ميدان القتال . ولقد كانت هذه الصدمة وما تلاها من المتاعب التى عانتها بياتريكس لتكسب عيشها وتعول ابنتها أثر كبير فى توجيه تفكيرهــا وطبع أدبها باللون الخاص الذى امتاز به

فقصتها الأولى (بارنى Barny) التى ظهرت عام ١٩٤٨ وقصتها الثانية (موت شاذ une Mort Irregulieure) التى ظهرت عام ١٩٥٠ ثم قصتها الأخيرة (القس ليون موران léon morin, prêtre) التى أصدرتها عام ١٩٥٢ وفازت من أجلها بالجائزة الكبرى . هذه القصص الثلاث ما هى إلا صورة من حياتها الخاصة التى عرضت فيها أفكارها بصراحة تامة وأسلوب صارم غير عابئة بذلك التنميق أو المواربة التى يلجأ إليها الفن القصصى حتى عندما يكون رسما للحياة الخاصة للمؤلف

وأكبر الظن أن المحن التى عانتها بياتركس بيك بعد موت زوجها والأعمال المهينة التى اضطرت للقيام بها لتكسب عيشها هى السبب الأول فى تلك الصراحة العنيفة التى نلمسها فى أدبها . فلقد عملت بياتريكس عاملة فى مصنع وخادمة وكاتبة على الآلة الكاتبة فى مكتب للتأمين ثم طاهية. وكانت أثناء كل ذلك تحس أنهــا أسمى من الأعمال التى تؤديها فلم تستسلم لضربات القــدر . كانت تحس بأن فى داخلها أفكارا كثيرة فى حاجة إلى أن تدون وأنها بهذه الأفكار تستطيع أن تكون كاتبة ممتازة

وفى عام ١٩٤٧ حانت أول فرصة إذ كانت تعيش هى وابنتها فى انجلترا عند بعض أقربائها الذين قبلوا إيواءها فى مقابل أن تعمل طاهية للمنزل . وهناك كانت تختلس بضع دقائق كل يوم لتكتب قصتها الأولى (بارنى) حيث قصت ذكريات شبابها الأول ودراستها فى كلية الحقوق بجرونوبل وموت أمها ثم مقابلتها للطالب الروسى نوم تسابيرو الذى تزوجته فيما بعد . وفى هذه القصة لم تترك بياتريكس شيئا لم تقله مما اعتبرته الأسرة التى تعمل عندها جرأة لا تليق فطردتها من خدمتها

وأخذت الـكاتبة الناشئة ابنتهــا ورحلت إلى باريس حيث لا مورد لها . وفى غمار الفقر خطرت لها فكرة إرسال نسخة من قصتها إلى الـكاتب الـكبير أندريه جيد فلم يكد يكد يقرأها حتى أرســل يطلب رؤيتها بعد أن لمس فى كتابتها الذكاء والثقافة وحدة الذهن . فلما لقيها امتــدح استعدادها وغمرها بتشجيعه ثم وجه لهــا نصيحته بقوله « حذار من العاطفية الحادة »

واستقرت حياة بياتريكس المــادية إلى حد ما بعد أن اختارها جيد سكرتيرة له . وعندئذ بدأت قصتها الثانيــة (موت شاذ) وما هو إلا موت زوجها . ولم تكد تفرغ منها حتى بدأت قصتها الثالثة (القس ليون موران) ومات جيد وعادت بياتريكس إلى الاضطراب المادى ؛ ولـكنها كانت قد آمنت بأن كسب حياتها لن يكون إلا عن طريق الأدب فانكبت على العمل حتى انتهت من قصتها التى فازت بأكبر الجوائز الأدبية فى فرنســا ووضعت مؤلفتها فى الصف الأول بين كتاب الأدب المعاصر

ليونار دوفينشى بقلم

وضع الـكاتب الفرنسى أندريه شاستيل كتابا عن

الفنان الإيطالى الخالد ليونار دوفينتشى واعتمد فى تأليفه على ما كتبه الفنان نفسه من خواطر ومؤلفات مستخرجا منها أفكاره ونظرياته واكتشافاته التى بثها فى مؤلفاته العديدة المتفرقة فى مختلف المكتبات والمعاهد العالمية الشهيرة ومنها مذكراته ورسائله إلى الملوك والحكام فى عصره

وينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام يعالج كل منها موضوعا قائما بذاته ومصحوبا بتعليقات وافية من المؤلف . والقسم الأول وعنوانه (ملاحظات وخطابات) يشرح حياة ليوناردو فيتبعها خطوة خطوة ويكشف مطامحه العلمية كما نقرأ فيه عددا من الرسائل التى كتبها لبعض الأمراء يعرض عليهم فيها خدماته وما يمكن أن يقوم به من مشروعات . والقسم الثانى يبين ما قام به دوفينتشى من مجهود كرسام ومقدار مصارعته لقوة الطبيعة وما كانت تحتويه عبقريته النادرة من موارد لا تنضب . كما يبين كفاحه فى سبيل الكشف العلمى وكيف أوصله ظمأه إلى المعرفة إلى أن يكون عالى الفكر مترفعا عن القومية المتعصبة العمياء . وفى هذا القسم أيضا نرى نقد الفنان للعلم الزائف وتسفيهه له كما نرى نظريته الفريدة عن الكذب. أما القسم الثالث فقد خصص للأقاصيص والألغاز والأساطير التى رواها الفنان على ألسنة الحيوانات والتى يعبر فيها عن تحديه للطبيعة وتفكيره العلمى الواقعى البحث

الجريدة الموسوعية

بمناسبة الاحتفال بمرور مائتى عام على إنشاء (الموسوعة) الفرنسية الكبرى . ذلك العمل الفكرى الضخم الذى قام به ديدرو ودالامبير والذى كان له أعمق الأثر فى تطور الفكر فى أوربا الغربية أصدر الكاتبان الفرنسيان جوستاف شارليه ورولان موتييه كتابا يبينان فيه أن هناك عملا فكريا آخر أتم الرسالة التى حققتها الموسوعة ولم يذكر فضله الذى يستحقه إلى جانب فضل الموسوعة . وهذا العمل هو (الجريدة الموسوعية) التى ظهرت من عام ١٧٥٦ إلى عام ١٧٩٣ تحت رياسة بيير روسو . فقد أقام روسو فى لييج ثم انتقل منها إلى بويبون حيث أصدر جريدته التى كانت تظهر كل خمسة عشر يوما واستمرت على الظهور مدى ثلاثين عاما . ولقد اشترك فى تحرير هذه الجريدة فولتير إلى جانب عدد من رجال الفكر الأحرار فى ذلك العهد. وكان روسو يحلم بأصدارها فى أن يجعل منها جريدة أوروبا الأولى من حيث الرسالة التى تحملها فى قيادة الفكر الحر وحمل علم التطور فى عصرها . والواقع أن (الجريدة الموسوعية) ملتقى الأفكار التقدمية فى كل من ألمانيا وانجلترا وفرنسا . وقد استخرج المؤلفان من بين الثلاثمائة مجلد التى كونتها الجريدة فى مدى الثلاثين عاما من ظهورها كثيرا من المستندات ليثبتا أهمية الجريدة والدور الخطير الذى قامت به فى عصرها وهى مستندات تنير نواحى من الحياة الفكرية فى القرن الثامن عشر لم يكشف عنها إلى الآن .

العيد المئوى لمكتبة لاروس

احتفلت مكتبة لاروس فى الشهر الماضى بالعيد المئوى على تأسيسها وقد حضر الاحتفال جمع حاشد من رجال الفكر والأدب الفرنسى فجابوا أنحاء الدار الواسعة ومطابعها الضخمة . ومما يذكر أن مكتبة لاروس تصدر كل يوم إلى أنحاء فرنسا وسائر بلاد العالم ما يقرب من خمسين طنا من الكتب. أما معجمها الشهير فقد طبع منه إلى الآن ستة ملايين نسخة

ولقد أعد لهذه المناسبة متحف (جريفاز) تمثالا من الشمع لبيير لاروس مؤسس المكتبة ؛ وقد أزيح عنه الستار بحضور أحفاده الذين يواصلون تأدية الرسالة التى قام بها جدهم منذ مائة عام

آراء وأنباء

حول بلزاك

نشر الأستاذ أنور المداوي في عدد الرسالة الأخير تعليقا على مقال عن بلزاك . ومع تقديري للاحظاته واهتمامه أحب أن أسوق نقطتين هامتين

(١) لم أقل إن بلزاك كان متأنقا في «الصنعة البيانية» بل كان « متأنقا في فنه » فهو لم يكن يعيد تصحيح « الألفاظ » وتنميقها بل تصحيح « الأفكار والآراء » . والواقع أن بلزاك لم يكن «أديبا» فحسب، بل كان «مفكرا» أيضا . كان في طليعة الكتاب التقدميين في عهده . ولعل هذا هو السبب في أن الكتاب التقدميين في عصرنا هذا يعتبرونه في طليعة الأدباء الذين كان أدبهم أحد المعاول التي دكت صرح الفساد وكشفت عيوب المجتمع ومتناقضاته ، كما كان الحال مع فيكتور هوجو وزولا وغيرهما . أليس هو القائل في كتابه (الفلاحون) منذ أكثر من مائة عام « إن الاشتراكية هي المنطق الحي للديمقراطية »

(٢) ربما اتفقت مع الأستاذ المداوي في أن قصة (الأب جوريو) هي أحسن قصص بلزاك . ولكنها أحسنها من الناحية « القصصية » أو « الأدبية » . والذي قلته هو أن كتاب (لوى لامبير) هو « أقوى وأعمق » كتبه . وعندي أننا عندما نحكم على الأدب الآن يجب أن نهتم أولا بما يصوغه في أدبه من « أفكار » قبل أن نهتم بروعة الأسلوب أو جمال الوصف أو غير ذلك وإن كان لهذا أيضا أهميته . ولقد سبق بلزاك بقصته (لوى لامبير) بما يزيد على نصف قرن غيره ممن عالجوا مشاكل النفس البشرية وما أطلق عليه (العقل الباطن) وعلاقته بالجنون والعبقرية . ولا يمكن أن نغمط حق الكاتب دوستوفسكي في هذا الميدان فقد كان أدبه باعتراف العالم فرويد نفسه نبراسا لكثير من الاكتشافات التي تمت عن أسرار النفس البشرية وخفاياها

علي كامل

ديك الجن

سألني الأديب الفاضل محمود راشد الحنفي بالعدد الأخير من مجلة الرسالة الغراء عن سبب تسمية الشاعر محمد بن عبد السلام بن رغبان الحمصي بديك الجن ، فقد كان لزاما على في رأيه — أن أخصها بالحديث

ولعل الأديب الحنفي يتصور لهذه التسمية قصة شائقة ، فهو يشتاق إلى رؤية فصولها الرائعة ، ولو كان الأمر كذلك ما فاتني أن ألم بها في حديثي بالثقافة عن الشاعر الملتاع ! وكل ما نعرفه عن هذه التسمية العجيبة ما نقله شيخنا الأستاذ أحمد يوسف نجاتي في تعليقاته النفيسة « بالجزء التاسع من نفح الطيب ص ١٩ » من أن الشاعر كان ذا عينين خضراوين كعيون بعض الديكة الرائعة ، فسمي بالديك لذلك

وهناك سبب ثان لهذه التسمية ، فقد ذكر الأستاذ نجاتي أن أحد أصدقاء الشاعر قد صنع له وليمة كبيرة ، وذبح فيها ديكا رائعا قد اشتهر بجمال صوته ، وحسن منظره فنظم ديك الجن أبياتا رائعة في رثائه ، واشتهر بها حتى سمي بديك الجن ، ومن هذه الأبيات

دعانا أبو عمرو عمير بن جعفر ... على لحم ديك دعوة بعد موعد
فقدم ديكا عد دهراً مدملجا ... مؤانس أبيات مؤذن مسجد
وقال لقد سبحت دهرا مهللا ... وأسهرت بالأذن أعين هجد
أيذبح بين المسلمين مؤذن ... مقيم على دين النبي محمد
فقلت له يا ديك إنك صادق ... وإنك فيما قلت غير مفند
ولا ذنب للأضياف إن نالك الردى ... فإن المنايا للديوك بمرصد

هذا كل ما قيل ... أما إضافة الديك إلى الجن ، فقد كانت مبالغة صريحة في جودة الديك وروعته ، إذ أن

أرباب البلاغة إذا رأوا حسنا – كما يقول أبو العلاء – عدوه من صنعة الجن . وقد بلغ الديك من الحسن مبلغا عظيما ، يتخطى الأنس إلى الجن ، ونسب « للعبقريين »

ولعل القارئ قد أدرك سذاجة هذه التسمية ، وكم للشعراء من تسميات عجيبة ألصقت بهم إلصاقا لمناسبة تافهة ، كجران العود ، والحيص بيص وفلان وفلان

أبو تيج محمد رجب البيومي

تحية كريمة

زار السودان فى الأيام الأخيرة الشيخ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف فى حكومة العهد الجديد عهد الأصلاح والتقدم .. عهد الرخاء والمساواة بين الطبقات . وكان لتلك الزيارة التاريخية أثران عظيمان : أثر سياسى بارز خدم أغراضه خدمة وطنية صالحة ، وأثر اجتماعى أنسانى أدى رسالة أنسانية سامية إلى أبناء الجنوب أبناء الوطن الواحد الشقيق ما كان ليؤديها أسلوب آخر

لقد كان العهد الدابر يثقل أنفسنا بأوضاره وأفكاره القذرة ؛ وكانت رواسبه العميقة الجذور عالقة ببعض الأذهان حتى جاء الوزير الشمى البارع يضع يده فوق الأمراض المزمنة فيقتل جرثومة الداء العضال ... كنت كثيرى من عشرات الألوف الذين أتيح لهم الاستماع إلى المحاضرتين القيمتين اللتين ألقاهما الوزير العالم الحر على ذلك الحشد الكبير من الناس . كانت الأولى بدار الثقافة بالخرطوم وموضوعها – الدين والمجتمع ؛ والثانية بنادى أم درمان الثقافى وموضوعها – الإسلام دين ودولة . وكنت كلما استمعت إلى الوزير الضليع يتردد من أعماق همس يتحول على شفتى إلى قول الشاعر :

إذا استوزرت فاستوزر علينا فتى كالفضل أو كابن العميد

كانت الأعناق تتطاول والخواطر تتيقظ والنفوس تتلهف إلى ذلك الفيض الإلهى الغامر فتتلقاه واعية له مستوعبة لأهدافه وغاياته ، مستلهمة ماينبعث من قلبه المؤمن وكان كل إنسان حريصا على ألا تفوته إشارة شاردة أو معنى عابر ؛ فأمثال الباقورى هم أساتذة الحضارة ورسل الحياة فى هذا الزمن الحائر القلق ، ولعل رغبة الكثيرين من سكان السودان – وأرجو أن أكون معبرا عنها – أن يقوم هذا النفر الكريم من أمثال الدكتور طه حسين ، والداعية الكبير سيد قطب ، والخطيب المفوه سعيد رمضان ، برحلات ثقافية إلى السودان . فهل تبلغ تلك الرغبة إلى هؤلاء ، وأندادهم على صفحات الرسالة ؟ وهل تستجيب الحكومة القائمة فتسهل لهم الطريق لشركوا أخوانهم السودانيين فى أمن العهد الجديد وإشراقه ؟

الخرطوم محبت الفضل

حول معهد الدراسات العربية العليا

قرأت بمجلة الرسالة الغراء – نبأ فتح معهد للدراسات العربية العليا يدرس فيه كل ما يتصل بالدول العربية من آداب وتاريخ وقوانين وجغرافيا – وهذا لا شك عمل عظيم يزيد وحدتنا توحدا واتساقا ومعرفة للكثير من شئوننا التى نجهلها

وكل ما أرجوه من أولى الأمر أن يباح لنا نحن خريجى كلية اللغة العربية الانتساب إليه أسوة بزملائنا خريجى الجامعات ، ولا نحرم منه كما نحرم من الماجستير والدكتوراه المصريتين فى الوقت الذى تبيح لنا ذلك فرنسا وانجلترا وأمريكا حتى روسيا الحمراء .. وأننا فى هذا العهد الجديد لنأمل تحقيق كل ما نصبو إليه .. بعد أن انقشع عن الوطن عهد الظلم والأجحاف

كيلانى حسن سند

لغـــويات

اختشى

فتشت مادة (خ ش ى) فى جميع المعاجم فلم أجد (اختشى يختشى اختشاء فهو مختش أو مختشى ومختشية) مع أنه قد ورد عن العرب وأخذه المصريون عنهم أو عن جاليتهم واستعملوه فى كلامهم وفى أمثالهم قالوا (اللى اختشوا ماتوا) و (واللى يختشى من بنت عمه ما يجبش منها عيال) و (يخاف مايختشيش) وإليك بعض الشواهد من شتى العصور

قال عنترة العبسى :

ولا تختشوا مما يقدر فى غد ... فما جاءنا من عالم الغيب مخبر

وهى من قصيدة مطلعها :

إذا كان أمر الله أمرا يقدر ... فكيف يفر المرء منه ويحذر

وقال الممزق العبدى :

فكن كابن ليل على أسود ... إذا ما سواد بليل خشى

فكل سواد وإن هبته ... من الليل يختشى كما تختشى

وجاء فى حياة الحيوان فى الكلام على (الأسد) ...

وضربوا المثل بالخوف من الأسد قال مجنون ليلى :

يقولون لى يوما وقد جئت حيهم ... وفى باطنى نار يشب لهيبها

أما تختشى من أسدنا فأجبتهم ... هوى كل نفس أين حل حبيبها

وجاء فى حياة الحيوان فى الكلام على (خلافة المستعين بالله) من قصيدة غرامية قالها على لسان الخليفة المستعين محاور بنت عمه، ونسبها غيره إلى وضاح اليمن الشاعر الأموى الماجن :

قالت فان الله من فوقنا ... يعلم ما نبديه من شوقنا

نمضى إلى الحق غدا كلنا ... وتختشى النقمة من ربنا

قلت وربى ساتر غافر

وجاء فى ديوان ابن خفاجة الأندلسى ص ٧٢ -

يا أهل أندلس لله دركم ... ماء وظل وأنهار وأشجار

ما جنة الخلد إلا فى دياركم ... ولو تخيرت هذا كنت أختار

لا تختشوا بعد ذا أن تدخلوا سقرا ... فليس تدخل بعد الجنة النار

وقد جاءت هذه الأبيات فى ترجمته ص٧ وروى مكانه (لا تختشوا) لا تحسبوا من حسب بمعنى ظن وهما متقاربان خطا كما أنهما صحيحان معنى

وجاء فى الضوء اللامع ج ٤ ص ١٨٩ فى ترجمة عبد الرحيم : وكان مما كتبه من نظمه ليكتب على قبره :

تقول نفسى أتختشى من ... هول ذنب عظيم

لا تختشى من عقاب ... فانت عبد الرحيم

وجاء فى السيرة الحلبية ج ٣ ص ٩ قال العارف بالله سيدى على وفا

لا تختشى فقرا وعندك بيت من ... كل الغنى لك من أياديه منن

على أن الباحث إذا دقق النظر فى مادة (خ ش ى) أمكنه أن يستنبط (اختشى) منها لأن هذا الفعل مطاوع (خشاه تخشية) بمعنى خوفه كما أنه شقيق (تخشاه) بمعنى خافه، وقد وردا فيها، ونظيره غذاه تغدية فاغتذى وتغذى؟ فوجود واحد منها يقتضى يستلزم وجود الآخر حتما

توفر

أنكر أحد الباحثين استعمال (توفر) بمعنى وفر وكثر وتم وكمل واجتمع وكان وافرا مع أنه صحيح مثل (توافر) فقد نص عليه اللغويون وغيرهم. على أنه لا يحتاج إلى نص ودليل لأنه مطاوع وفره توفيرا بمعنى كثره وأتمه وأكمله وجعله وافرا، فقولهم (توفرت فيه الشروط) صحيح، وأيضا (توفر على العمل) إذا صرف همته إليه، وبذل فيه مجهوده

قتيل وقتيلة

القتيلة بمعنى المقتولة كلمة عربية صميمة تقول هذه قتيلة وشاهدت قتيلة، وامرأة أو فتاة قتيلة، ويسوغ أن تقول :

في عالم الكتب : نقد وتعريف

عبقرية المسيح

تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد

للأستاذ نقولا الحداد

من يطالع هذا الكتاب للأستاذ العقاد يظن أن مؤلفه إكليريكي لاهوتي فيلسوف في اللاهوت المسيحي النظري بحث في أساس اللاهوت المسيحي بحثا شاملا جامعا لتاريخ النصرانية وما اكتنفها من النبوءات وما سبقها من الحوادث كما وردت أخبارها في الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) وفي بعض الكتب التاريخية وماتوالى على اليهودية من عقائد وطوائف وديانات وما صاحبها من معتقدات أمم أخرى واصطدمت بها أو لامستها

وأنا (أنا خصوصا) لاأدرى لماذا يجب أن يسبق المسيح أو محمدا نبوءات تنبه الناس إلى مجيئهما وتؤيد رسالة كل منهما — ألايكفي أن يظهر عيسى ومحمدا في الوجود الإنساني وأن يسلكا السلوك الذي علمناه ، وأن تعلن تعاليمهما وتؤيد بأعمالها حتى نقول هذا مسيح الله وهذا نبي الله ؟ أما تكفي حياتهما وتعاليمهما شهادة لهما ؟

ولكن هكذا ألف الناس منذ القديم أن تكون حوادث العالم الدينية متعاقبة يرشح بعضها بعضا حتى لا يكون فيها لبس ولا غش ولا تعمل ولا دعاو باطلة

في كتاب عبقرية المسيح فصول عن الحالة الدينية في العالم والحالة في عصر الميلاد المسيحي . وفي تاريخ الميلاد من الحقائق التاريخية مالا نراه في الكتاب المقدس لاالتوراة ولا الإنجيل . وهناك كثير من الأخبار مالم يذكر الأستاذ مصادرها أو أسنادها وكنا نود أن لا يغفل هذا الواجب لكي يتأكد القارئ أن المؤلف حقق ودقق بعد أن درس وتعمق . فيكون ذلك أكفل لتقدير قيمة عمله وتنويرا للقارئ المحقق للمراجعة واستزادة من التحقيق والتوسع في المعرفة

ثم استرسل الأستاذ في تفكيره اللاهوتي في فصول : « الصور الوصفية » و « الدعوة » و « اختيار القبلة » و « تجارب الدعوة » و « الشريعة » بحيث تعطى الكتاب القيمة التي تستحق أن تنسب للعقاد وتكون في طبيعة دراساته

ثم توغل في شريعة الحب حتى أراك أن الناموس أو شريعة الناموس تعتبر ناقصة إذا لم تكن شريعة الحب التي هي محور سلوك المسيح وتعاليمه ؛ وهي بيت القصيد في حياته كلها « بهذه الشريعة شريعة الحب (بالمحبة) نقض المسيح كل حرف من حروف شريعة الأشكال والظواهر

وفي الفصول الأخرى ترى أن العقاد لم يعبأ بالعجائب ولا بأخبار المسيح في مدة وجوده بين العالم ثلاث سنين ، بل اقتصر على زبدة تعاليم المسيح التي صار بها يسوع من مريم مسيحا

وقد أحسن الأستاذ صنعا في إغفال تلك العجائب التي يظن بعض الناس أنها كانت الوسيلة الوحيدة لانتشار الدين المسيحي . وهذا الظن هو الضلالة التي يكرهها المسيح. ولما طلبوا منه آية من السماء قال : إذا كان إبراهيم ويعقوب

امرأة أو فتاة قتيل لوجود الموصوف المؤنث (امرأة أوفتاة) ولكن ليس من الحكمة والدقة في التعبير في مخاطبة الجمهور أن نلجأ إلى الوصف المشترك (قتيل) فنستعمله في المذكر تارة وفي المؤنث تارة أخرى معتمدين في فهم المراد على المقام ووضوح الكلام لأن العدول عن استعمال المشهور بين الجمهور (قتيلة) إلى استعمال المهجور (قتيل) بمعنى مقتولة يوحي إلى القارئ أن (قتيلة) خطأ أو لغة ضعيفة وليس كذلك لأنها هي الصفة الأصلية المختصة بالإناث ، وعلى هذا يقاس نظائرهما مثل جريح وجريحة

علي حسن هلالي
بالمجمع اللغوي

وغيرهما من الآباء لم يقنعوكم فلا تقنعكم الآيات

والحقيقة أن المسيح لم يأت إلى الأرض لكى يقيم عازر من القبر ، ولا لكى يحول الماء إلى خمر ، ولا لكى يمشى على الماء ، ولا لكى يفتح عيون العميان ، ولا لكى يقيم المقعدين ، ولا ولا ؛ وإنما جاء لكى يقول ثلاث كلمات : أحبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى من أساء إليكم . من لطمك على خدك الأيمن فحول له الأيسر إلى آخره . وبهذه الكلمات يسير الآن وراءه ألف مليون نسمة على الأرض وإن كان معظم هؤلاء أو جلهم لا يفعلون ما قاله المسيح ولا يفهمون ما يعنيه ؛ فهم ضعيفو الإيمان ومنهم من لا إيمان لهم وإنما هم يفخرون بانتمائهم إلى صاحب هذه الشريعة — شريعة الحب والتسامح وأكثرهم لا يؤمنون بغير الدولار والدينار

وأما قول بعض الناس إن المسيح طلب من الطبيعة البشرية ما لا تستطيعه ؛ لأنك لا تجد واحداً فى الألف يحول لك الخد الأيسر إذا لطمته على الخد الأيمن ، ولا من يحب عدوه ، ولا من يبارك لاعنه ، فإن من الحق أن هذا القول صعب على الطبيعة البشرية ولكنه ليس مستحيلا عليها ، والمسيح نفسه عمل بهذه النظرية التى ظنوا أنها مستحيلة

فقد كان يقول وهم يبصقون عليه ويطعنونه بحربة : « يارب اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » ولم يثقل هذا على طبعه . وإذا كان كل واحد يفكر أن المسامحة تكسر الشر فبعد حين لا نعود نرى أحداً يضرب على خد، ولا أحداً يعادى أحد . وفى القرآن الكريم مثل هذا القول : « لا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم »

فوصية المسيح بالتساهل والتسامح ليست فوق الطبع البشرى بل هى تحت الطبع البشرى وفى وسع كل إنسان أن يطبقها إذا أراد . وإذا كان الناس يتربون على هذه الوصية ويتعودونها يستسهلونها

أعود فأقول إن المسيح لم يأت إلى الأرض لكى يعمل العجائب والخوارق وإنما جاء لكى يعلم الناس التساهل والتسامح والمغفرة ، على نية أن العالم إذا سار كله على هذه السنة صار كله أمة واحدة وشعباً واحداً أو أسرة واحدة تتعاطف ويحب بعضها بعضاً وتنتفى الشرور من بين أفرادها

المسيح لم يأت لليهود وحدهم بل أتى لكل العالم بهذا المبدأ . وأظنه أول فيلسوف ظهر على الأرض بهذا التعليم . وكان قصده أن العالم كله يعتنقه بدليل أنه جمع تلاميذه وقال لهم : اذهبوا إلى جميع الأمم وتلمذوهم وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به . وها أنا معكم كل الأيام إلى أن ينتهى الدهر . وهو يعنى أن رسالته هذه يجب أن تعم كل الكون لعلها أن تكون الوسيلة الناجعة لانتشار السلام على الأرض

فالمسيح لم يأت لأجل سلام اليهود وسلامتهم فقط بل أتى لأجل سلام كل العالم . وكان قصده أن يكون كل العالم إخوة . هذا ما عناه المسيح حين قال : احبوا أعداءكم ، بدليل أنه لما اجتمع بتلاميذه قال لهم إذهبوا إلى جميع الأمم (لا إلى اليهود فقط) وتلمذوهم الخ . . على أمل أن تتطبع الأمم كلها بطبيعة السلام والمحبة والسماحة فيسود السلام جميع الأمم

هذه كانت رسالة المسيح على الأرض . ولكن اليهود فى كل تاريخهم كانوا يقاسون من غزوات البابليين والأشوريين والفرس والرومان وغيرهم ، فكانوا يتوقعون أن يظهر من بينهم ملك يقودهم للدفاع عن بلادهم ويخلصهم من هؤلاء الأعداء فكانوا يحتاجون إلى منقذ مثل موسى أو يشوع ، فلما وجدوا أن يسوع هذا الذى شرع يعلمهم التعاليم المفيدة لهم اجتماعيا قالوا : لا . لا . ليس

هذا هو الملك الذى ننتظره . ليس هذا هو القائد المنقذ هذا رجل افاك . وصار الكهنة وجميع رجال الدين يرون أن تعاليمه هـذه تحط من نفوذهم وتكسر شوكة غطرستهم وتزعزع سلطتهم فجعلوا يطلبون رأسه . وما أسهل أن يوغروا صدر بيلاطوس الوالى الرومانى عليـه بحجة أنه يدعى أنه ملك اليهود وهم يعترفون بملك أجنبي غير قيصر

ولما مثل المسيح لدى بيلاطوس سأله هذا : — هل أنت ملك اليهود ؟ فأجابه : « أنت قلت ؛ ولـكن مملـكتى ليست من هـذا العالم » وهو يعنى أنها ليست أجساداً بل هى أرواح تفهم وتعمل فى أجساد الحق والعدل والصدق والتقوى

ولطالما كان اليهود يحاولون أن يأخذوا عليه مأخذا ضد الشريعة لـكى يشكوه للوالى فجاءوا إليه بزانية وقالوا « هـذه ارتكبت جريمة الزنى ، وفى شريعة موسى ترجم بالحجارة فماذا تقول أنت ؟ »

فما لبث أن قال بكل جرأة : « من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر »

وماذا كانت النتيجة : كانت أنهم جعلوا يخرجون من المجتمع واحدا بعد الآخر ولم يوجد بينهم من يجرؤ أن يعترض على حكم المسيح لا لأنه أثر عليهم بتصرفه تأثيرا عجيبا ، بل لأنهم وجدوا أنهم ضعفاء جدا لدى مبينه وحجته فخافوا أن يبطشوا به بل جعلت ضمائرهم تبكتهم بفعل كلمته فصاروا يخرجون واحدا واحدا

ثم التفت إلى الزانية وسألها : أين الذين شكوك ؟ أما دانك أحد ؟ قالت : لا . قال ولا أنا أدينك . اذهبى ولا تخطئى بعد . من ذلك الحين تابت مريم المجدلية الزانية وصارت قديسة

كان لمنظره فى مثل هذه المواقف سطوة أو صولة أو هيبة ليست لزعيم ولا لقائد ولا لحاكم . ففى ذات يوم جاء إلى الهيكل ورأى أدناس الناس فيه : صيارفة وتجار حمام وتجار حيوانات إلى آخره ، فجعل يقلب موائد الصيارفة وأقفاص الحمام وهو يقول : تباً لـكم أيها الأشرار ! جعلتم بيت الله مغارة لصوص. فلم يجسر أحـد أن يصده أو أن يقاومه أو أن يشاجره بل جعلوا يخرجون من الهيكل قانعين بالسلامة

لم يشر الأستاذ العقاد إلى كيفية انتهاء حياة المسيح ، ولـكنه اقتنع مثلى أن سلوك المسيح الذى أشرنا إليه هو بيت القصيد فى حياته . وقد جاء وعلم وعمل ومضى ولا يزال إلى اليوم مثلا للأمم وسيبقى هكذا عدة قرون

وفى ظنى أن الإسلام إنما هو استمرار للمسيحية؛ ولذلك كانت حياة محمد وتعاليمه موافقة كل الموافقة لحياة المسيح وتعاليمه — المحبة والتواضع والمسامحة والدعوة إلى السلام . حبذا لو يفهم الناس أن سلامتهم ونجاحهم وسلامهم يتوقف على قدر ما يطيعون من تعاليم هذين المصلحين

نقولا الحداد

طرائف وقصص

الزوجة الجديدة

عن الإنجليزية

كان على النضدة المصنوعة على الطراز اليابانى موقد يغلى فوقه وعاء من الشاى وبجانبه فنجانان وزجاجة من الروم

وكانت الكونتس تراقب صنعه وهى تنظر إلى وجهها فى المرآة وترتب شعرها حين دخل الكونت «دى سالور» فرمى بقفازيه وألقى قبعته . وابتسمت الكونتس ابتسامة سرور عند ما التفت إليه وأصابعها الصغيرة البيضاء ترفع عن جبينها الناصع خصلة من الشعر الذهبى . ونظر إليها متردداً فى القول كأن خاطراً هاماً يشغل ذهنه ثم قال : « هل وجدت الالتفات الكافى فى هذه الليلة ؟ » فقالت الكونتس « أرجو ذلك »

ثم تناول مقعداً وجلس أمامها وأمسك بقطعة من الكعك وقال : « لقد كان ذلك التصرف محزناً »

فقاطعته قائلة : « وما الذى كنت تريد ؟ هل كان يحسن أن يضحك الناس منا ؟ »

قال : « كلا يا عزيزتى ؛ ولكننى أعنى أنه لم يكن يليق أن يأخذ المسيو دى بروبل بذراعك ويذهب . ولو كان من حقى أن أمنعه إذ ذاك لمنعته »

فقالت : « كن طويل البال . إن آراءك اليوم ليست كآرائك من عام . وهذا كل ما فى الموضوع . ولما رأيتك تتخذ خليلة ورأيت الحب بينكما ظاهراً اعتقدت أنه لا يسوءك أن يلتفت إلى إنسان . وقد شكوت إليك ذلك الحين كما تشكو إلى الآن . ولكننى كنت أكثر حكمة منك ، فقلت : إن علاقتك بمدام دى سيفرى تسبب لك ألماً . وقلت لك إنك تعرض نفسك للاستهزاء . فماذا كان جوابك ؟ لقد قلت لى فى صراحة إنك حر ، وإن الزواج فى نظر الطبقات الراقية إنما هو مظهر اجتماعى وليس عقداً أدبيا . ألم يكن هذا جوابك ؟ وأفهمتنى أن خليلتك أفضل منى وأرق أنوثة — لقد كان هذا هو تعبيرك (أرق أنوثة) واتفقت منذ ذلك العهد معى على أن نعيش فى منزل واحد على أن يكون كل منا منفصلا عن الآخر تمام الانفصال ، ولم تكن بيننا رابطة إذ ذاك سوى ابننا الذى يتربى بيد[illegible] ، وقلت لى فى جلاء إنك لا تعنى إلا بالمظاهر . إن لى أن أتخذ خليلا على شرط أن يبقى الأمر مكتوما . ثم كلمتنى عن مهارة النساء فى التستر الخ . وإننى لأفهم مركزك تمام الفهم ، فقد كنت فى ذلك الوقت مدلها بحبك لمدام دى سيفرى وكنت ترى عقد زواجنا الشرعى يحول بينك وبينها ، وكنت ترى أيضا أنه لا مبرر لما تنفقه على من المال بسبب هذا العقد ، ولهذين السببين كرهتنى وعشنا منفصلين . وكنا نستقبل الناس معا ولكن لكل منا مأواه فى المنزل . على أنك منذ شهر أو شهرين أخذت تمثل دور الغيرة فما معنى ذلك ؟

قال الزوج : « إننى يا عزيزتى لا أمثل دور الغيرة ، ولكنى أخشى عليك تعريض نفسك للخطر فأنت صغيرة وأنت مخاطرة . وإننى أخاطبك كصديق وأرى فى القول الذى تقولينه كثيراً من المبالغة »

فقالت : « كلا ، لا مبالغة فى قولى ، فأنت قد رخصت لى بأن أفعل مثل فعلك »

قال : « أرجو ... » فقاطعته قائلة : دعنى أتكلم . لقد رخصت لى بذلك ولكنى لم أفعل ، فليس لى خليل ولكنى منتظرة . إننى أبحث ولكنى لا أجده . إننى أريد ظريفاً..

أريد أظرف منك . إنى بالقول الذى قلته الآن أمدحك مديحاً لم تفطن إليه »

قال الزوج : « ياعزيزتى إن كل ما تقولينه الآن مزاح لا محل له هنا » فقالت : « إننى لست أمزح فإنك سمحت لنفسك بأن تكون من ذوى القرون »

قال الكونت متنيظاً مهتاجاً : « كيف تستعملين مثل هذه الألفاظ ؟ فقالت الزوجة : « كيف أستعملها ؟ أنت قد ضحكت ملء شدقيك لما قالت مدام دى سيفرى عن زوجها أنه من ذوى القرون »

قال : « ولكن اللفظ الذى يقبل من دى سيفرى لا يكون مقبولا منك » فقالت : « كلا ، ولقد سرك هذا الوصف وأضحكك عندما قيل عن دى سيفرى ، وهو الآن يسوءك عندما يقال عنك . وليس يهمنى هذا اللفظ بعينه وإنما أريد أن أعرف هل أنت الآن على استعداد ؟ »

قال : « على استعداد لأى شئ ؟ » فقالت : « ألست على استعداد لتكون ممن يقال فيهم هذا الوصف ؟ إن الذى يضحك عندما يوصف أحد أمامه بهذا الوصف لا يعود إلى الضحك عندما يسمع هذه الكلمة بعد أن يصير هو نفسه متصفاً بها »

قال الكونت : « تعالى يا عزيزتى نتكلم بعقل ونهى المسيو برويل إلى أن ما فعله الليلة غير لائق » فقالت : « إذن فأنت غيران »

قال : « كلا ولكن لا أحب أن أكون فى مركز مخز كالذى كنت فيه بالأمس » فقالت : « وهل شعرت بأنك تحبنى فى وقت من الأوقات ؟ »

قال : « إن الإنسان قد يحب من هى أقل بكثير منك فى الجمال » فقالت : « إذن فهذا شعورك نحوى : لكننى لا أشعر نحوك بشئ من الحب »

فوقف الكونت ثم دار حتى صار خلف زوجته وقبل قفاها فالتفتت إليه وأبعدته عنها ونظرت إليه نظرة غضب

وقالت : « ليس بيننا شئ من ذلك . إننا منفصلان »

قال : « تعالى يا عزيزتى . لا تنفضى فقد فتنت بك مدة طويلة ولك عينان ... » فقاطعته قائلة : عينان « تفتنان المسيو دى برويل »

قال : « أنت قاسية جداً وليس فى الدنيا أجمل منك »

فقالت : « دعنى فأنت صائم »

قال : لست أفهم ماذا تعنين . فقالت : أعنى أن الصائم يجوع ، وأن الجائع يريد أن يأكل من أى شئ سواء وافقه فى وقت آخر أو لم يوافقه . وقد أهملتنى مدة طويلة ثم تريد أن تتذوقنى الآن

قال : لماذا يا عزيزتى تخاطبيننى بهذه اللهجة ؟

فقالت : لأنى أعلم أنه بعد انقطاع صلتك بمدام سيفرى اتخذت على التوالى أربع خليلات من بينهن خياطة وممثلة ولست أعلل مسلكك اليوم إلا بأنك صائم »

قال : « لا بل سأكون صريحا . إننى عدت إلى حبك وأحببتك إلى أقصى حد » فقالت : « لقد أخطأت فقد انتهى كل شئ بيننا . ولست أنكر أننى زوجة ، ولكننى زوجة لها الحرية الكاملة فى أن تفعل كل شئ . ولقد كنت الليلة مدعوة إلى موعد فإذا شئت فضلتك على صاحب الدعوة بنفس الثمن »

قال الزوج : « لست أفهم » فقالت : « سأفهمك ؛ قل لى ألست جميلة مثل صاحبتيك الخياطة والممثلة ؟ »

قال : « أجل منهما ألف مرة » فقالت : « أخبرنى بالحق كم أنفقت عليهما فى ثلاثة أشهر ؟ »

قال : « لست أفهم » فقالت : « بكم اشتريت لها حليا ومجوهرات ؟ وكم أنفقت فى المطاعم والمسارح ؟ »

قال : « لست أستطيع أن أجيبك، ولكنى أنفقت كثيرا » فقالت : « ألم يكن متوسط ماأنفقته على إحداها فى الشهر خمسة آلاف فرنك ؟ »

قال : « نعم وهذا تقدير معتدل » فقالت : « إذن

فيا صديقى العزيز أنا أقبل بهذا الثمن أن تتخذنى خليلة مدة شهر يبتدئ من الليلة »

قال الزوج : « لا بد أن تكونى مجنونة يا مرغريت

فقالت : « إذا كان هـذا جوابك فأرجو أن تتركنى وتنصرف »

ثم وقفت الكونتيس ومشت نحو غرفة النوم فسكبت فى السرير زجاجة من العطر والتفتت فرأت الكونت واقفا بالباب وهو يقول : « ما أجمل هذه الرائحة ! »

قالت : « هذه رائحة السرير العادية ولم يتغير شئ فى المنزل » فقال : « أصحيح هذا ؟ ! إنها لرائحة زكية »

قالت : « ربما ! ولكن أرجو أن تترك الغرفة لأنى أريد أن أنام »

قال : « يا مرغريت ! » فأجابته : « أترك الغرفة ! ثم لم تعره التفاتا بل نزعت ثوبها فبدا ذراعان ملفوفان كأنهما مصنوعتان من العاج . ودنا منهما الكونت فقالت : « إبتعد وإلا أبعدتك »

فزاد دنواً منها ، ولكنها أظهرت الغضب ، وتناولت زجاجة من زجاجات العطر ورمته بها فأخطأته ولكن العطر انسكب فوق ثيابه فصاح : « هـذا سوء أدب »

فقالت : « دونك الشرط ... خمسة آلاف فرنك » ...

قال : « أيدفع الزوج لزوجته الشرعية أجراً ؟ »

فقالت : « إذا كان هذا حماقة فإن أشد الحماقات أن يدفع للخياطات والممثلات وله زوجة شرعية »

ثم جلست الكونتس على المقعد ونزعت جوربيها وأخذ ينظر إلى جمال رجليها ويقول : « إنها لفكرة مضحكة تلك التى تبدينها »

قالت : « أية فكرة ؟ » فقـال : « دفع خمسة آلاف فرنك »

قالت : « ليس فى الدنيا شئ طبيعى أكثر من هذا إن أحدنا غريب عن الآخر كما أردت أنت ، وليس فى وسعك أن تتزوج منى لأننا متزوجان ، وليس لك أن تعطينى أقل مما تعطيه للأخريات »

ثم قامت وقالت : « أرجو أن تخرج وإلا استدعيت الخادم لإخراجك »

فوقف الكونت واجماً مقدار لحظة ثم ألقى إليها بكيس نقوده وقال : « خذى هذا ففيه ستة آلاف فرنك »

فضحكت وهى تتناول الكيس وقالت : « خمسة آلاف فرنك كل شهر . تذكر يا كونت وإلا فلتعد إلى خليلاتك . وربما ... ربما إذا أعجبتك الحال طلبت الزيادة

ع . ه